الأستاذ الدكتور/ عمارة نجيب

مكانة المرأة

في المجتمع المسلم..

دار البشير

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

مكانة المرأة في المجتمع المسلم ..

٢١١/١
ن ع م

الأستاذ الدكتور/ عمارة نجيب

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لو أن هدانا الله ...

وبعد ...

فإن كل إنسان فى هذا الكون يبحث بدأب وإلحاح لتحقيق ذاته، وإثبات وجوده ، رجلاً كان أو امرأة ، شاباً أو شيخاً وقد استطاعت وسائل العلم الحديث ومناهجه المعاصرة ، أن تؤكد بعض الحقائق ، وتصالح عليها أهل الأرض كلهم .

فاصطلح كافة العقلاء على أهمية العمل وضرورته لتحقيق الذات ، كما اصطلحوا على أهمية التخصص وضرورته لإبراز المواهب والطاقات ، ولتجويد الأعمال والصناعات،وفى نفس الوقت لم يختلف أحد على ضرورة ضمان الأمن والاستقرار لكل الناس بحيث يختار أحدهم أسباب تحقيق ذاتة بحرية وبإرادة يترتب عليها حسابه ومجازاته بالعقاب أو بالثواب . إذا أخطأ أو أصاب .

ولقد اتفق أهل الأرض قديماً وحديثاً ، على أن الإنسان وهو يمارس حياته العادية ، يحتاج إلى ترشيد لفكره ولسلوكه ، بحيث لا يتم تحقيق الذات لفرد على حساب فرد آخر ، وبحيث ينتهى هدف تحقيق ذوات الأفراد إلى خدمة المجتمع ، وترقية حياته وتمدنه .

فالتمدن والارتقاء هدف عام لكل المجتمعات والأوطان والدول والهيئات،وتحقيق الذات ومطالب الكرامة وعزة النفس هدف خاص لكل فرد فى المجتمع البشرى .

وحينما يتعارض الهدف العام مع الهدف الخاص تبدأ مشكلات الأفراد والجماعات ، وتتعدد الآراء وتبدأ الخلافات وتتنوع الفلسفات وتتداخل أو تتعارض العلل والتبريرات فالبعض يقدم المجتمع على الفرد ويفضل النظام الذى يهدد حقوق ومطالب بعض الأفراد أو معظمهم لحساب المجتمع أو النظام العام .

والبعض الآخر ينادى بحقوق الأفراد وحرياتهم المطلقة ولو تم هذا على حساب المجتمع والنظام .

ولسنا فى حاجة لمناقشة هذه الخلافات وتصويب البعض وتخطىء البعض ، لأن هذه الدراسة تغنينا عن الفلسفات والمبررات والتعللات ، بسبب بعدها أصلاً عن القول بتعارض مصلحة الفرد مع مصلحة المجتمع .

بمعنى أن تحقيق الذات للفرد فى المجتمع المسلم رجلاً كان أو امرأة شاباً كان أو شيخاً ، لا يتعارض مطلقاً مع مصلحة المجتمع ولا يوجد فى نظام الإسلام ما يحول بين تحقيق هدف كل إنسان لكرامته وعزته ، فى نفس الوقت الذى يعمل فيه لتحقيق هدف المجتمع وترقيه وتمدنه .

نقطة الانطلاق فى هذه الدراسة إذن هى :

١ ــ التسليم بحق الفرد رجلاً كان أو امرأة فى تحقيق ذاته وتكريم وجوده واحترام مواهبه وطاقاته .

٢ ــ التسليم بحق المجتمع فى الترقى والتقدم والتمدن وكل وسائل

الاستقرار والأمن والرفاهية .

٣ ــ الجمع بين حق الفرد وحق المجتمع فى صيغة لا تخل أو تهدر جزءاً من حق كل منهما . ولا ريب أن هذه البداية لا تجد من يخالفها أو يعلن الحرب عليها ، إلا إذا كان مخالفاً فى تكوينه لما هو كائن فى طبائع البشر ، وهذا مما يعد شذوذاً واستثناءاً لا يلتفت إليه .

بدايتنا إذن من منطلق المسلمات الثلاث ، تتطلب التعرف على :

أولاً : طبيعة الإنسان بنوعيه ــ الذكر والأنثى .

ثانياً : طبيعة كل نوع على حدة وأسباب التنويع .

ثالثاً : الارتباط بين المكانة والنوع وبينهما معاً وبين المجتمع .

هذا وبالله التوفيق ..

طبيعة الإنسان :

يشترك الإنسان بنوعيه فى طبيعة التجاذب الفطرى كل نوع إلى الآخر ، حيث يجد كل ذكر من الدوافع والرغبات ما يشده نحو الأنثى ، كما تجد الأنثى من الدوافع والرغبات ما يجتذبها نحو الرجل ، لا يختلف فى ذلك رجل عن رجل ولا امرأة عن أخرى إلا فى حالات مرضية استثنائية شاذة لا يحسب حسابها ولا تخل بهذه القاعدة العامة ــ قاعدة التجاذب الفطرى المتبادل ــ أمّا الذى يحرك هذه الدوافع وينشطها من الوسائل والأساليب والمناهج ، فيتعدد ويتنوع ويختلف حتى يصل إلى حد الأعاجيب والحيل والغرائب .

ومن هنا نجد فارقاً هائلاً وكبيراً بين الإنسان والحيوان .

فالحيوان رغم التصاق صفة الحيوانية بسلوكياته إلى حد

الاختلاط بين الصفة والتسمية ، فالحيوان صفة واسم معا لتلك الكائنات التى تدنو عن الإنسان بفقدان العقل وتعتمد على الغريزة أو الشهوة فى سلوكها كله .

الحيوان رغم كل هذا تنتظم سلوكياته وتتحدد رغباته وأعماله بنظام وحدود لا تخرج عن الهدف الذى وجدت وخلقت من أجله .

فالتكاثر منتظم فى الدجاج بالخلقة بحيث يؤدى هدف الغذاء للإنسان بالكثرة المتلاحقة المطلوبة يومياً للناس .

والبقر والجاموس ينتظم فى تكاثره حتى لا يهلك بتكاثره كالدجاج نظام الحياة البشرية ، ومثل ذلك سائر الوحوش والدواب التى تنتظم فى إطار خدمة الحياة الإنسانية ، ويتمكن الإنسان من السيطرة عليها وترويضها واستخدامها واستثمارها لصالحه وفى هذا الإطار ينتظم السلوك المترتب على التجاذب الخلقى للذكر والأنثى

فالأنثى ترغب فى الذكر وتنشد إلى لقاحه بالقدر الذى يتناسب مع نفس الهدف ، والذكر لا يهاجم الأنثى ولا يغتصبها بالقوة طالما كانت غير راغبة فى ذلك .

وهذا يعنى أن الحياة الحيوانية للحيوان منتظمة بالخلقة وأصل الوجود مع الاشتراك فى أصل عملية تجاذب النوعين ــ الذكر والأنثى ــ كل منهما نحو الآخر كما يتجاذب ذكر الإنسان وأنثاه .

مخالفات عجيبة :

ومن المخالفات العجيبة فى هذا الشأن أن تجد الحيوان إذا أحس

بسقم أو مرض لزم جانب الحذر الملتزم فلا يمارس الرغبة الجنسية ، ولا يقبل على مقدماتها . مهما فعل نوعه الآخر من مغريات .

هذا فى الوقت الذى يرتكب فيه الكائن العاقل حماقات جنسية قاتلة يعلم قبلها ما تحمله من أضرار وأخطار ولا يبالى بذلك،مريضاً كان أو صحيحاً .

ومثل ذلك تجده عندما يأكل الحيوان ويشبع فإنه لا يقاتل غيره ، ولو كان هو صاحب الفريسة الذى تعب وضحى فى الحصول عليها أو الوصول إليها ، إنه يترك لغيره ما تبقى لا يختزن منه ولا يقيم عليه الحراسة ــ هذه هى القاعدة فإذا انحرف عن ذلك بعض الكائنات فذلك أمر لا يخل بالقاعدة العامة الظاهرة .

أما الإنسان بنوعيه فإنه يمتلك ويشتهى الامتلاك ، ويحوز ويشتهى الحيازة بلا حدود ، وإذا أطلق له العنان لا يكفيه واد ولا واديان من الذهب ، ولو قتل فى سبيل ذلك غيره من الناس .

هى مفارقات يفترق بها الإنسان عن الحيوان ، رغم بلوغ الحيوانية فى الحيوان حد النماذج بين الصفة والاسم ، إلا أن حيوانية الإنسان أكثر شرها وأشد خطورة .

ماذا تعنى الفروق :

ولا يعنى ذلك إلا التسليم بضرورة تنظيم الحيوانية فى الإنسان تنظيماً يضبطها عند الحد الذى خلقت من أجله ، ويوقفها عند الهدف الذى يشترك المجتمع فى استهدافه وبلوغه .

وهنا وعند هذا الحد يبدأ البحث عن القوانين ، والوسائل والأساليب التى تضمن التوفيق بين الرغبات والأهواء والشهوات الفردية أو النوعية للذكر والأنثى — وبين رغبات وغايات وأهداف المجتمعات العامة المنظمة .

إلا أن التسليم بضرورة التنظيم لصالح الفرد والمجتمع — لم يكن قاعدة للتسليم بنظام معين أو خطة موحدة تحقق الهدف المشترك للفرد والمجتمع ، فاختار الناس طرقاً ونظماً وقوانين ؛ لاتزال قاصرة عن الوفاء بمطالب البشرية وحاجتها إلى تحقيق كرامة الفرد ورق المجتمع فى توازن تام متكامل .

ولم يبقَ إلا أن نتطلع إلى الوحى الصادر من القوة العليا القادرة القاهرة — قوة الخالق العليم الخبير المحيط ، لترى فيها تطلعات المخلوق إلى تحقيق ذاته وكرامته على مستوى الفرد بنوعيه — الذكر والأنثى — وعلى مستوى الجماعة — أمماً وشعوباً — ولن ننسى حاجتنا إلى معرفة طبيعة كل نوع على حدة ، بعد أن عرفنا الطبيعة العجيبة المشتركة للنوعين معاً — الذكر والأنثى ...

طبيعة الرجل :

يجب التمييز تماماً بين الواقع بالفعل ، وبين ما يمكن أن يقع أو يتحقق ، فالواقع يؤكد أن الرجل أقوى من المرأة على العموم سواء من الناحية العضلية أو من الناحية العاطفية ، والنفسية ، ولا يخل بهذه القاعدة أيضاً ظهور بعض الشواذ أو الاستثناءات — ولكل قاعدة استثناء لا ينقضها أو يلغيها وحين ينظر إلى الرجل فى الواقع على هذا

النحو فإنهم يرون حقه فى القيادة والسيادة ، استناداً إلى قدراته وطاقاته المتفوقة إلا أن المطالبين بالمساواة لم يعجزوا عن الوصول إلى بعض الحقائق العلمية التى تؤيد قدرة المرأة على اكتساب صفات القوة العضلية والنفسية بالممارسة والتدريب .

وقد نجحت بالفعل بعض المؤسسات فى صناعة بعض النساء اللواتى لا يفترقن أبداً عن الرجال فى هذا الشأن .

الأمر الذى يعنى أن صفات الرجولة صفات مكتسبة وليس لها رصيد خلقى يتميز به الذكر عن الأنثى فى الواقع ، اللهم إلا ذلك الشكل السطحى الذى يجعلنا نتعرف على هذا النوع أو ذاك عند الولادة .

ولا يعنى الحمل والولادة بالنسبة للمرأة إلا صفات وراثية تقتضيها أن تتحمل عبء هذه الوظيفة عدة شهور ، ويمكنها بالوسائل الحديثة أن تتحكم فيها فلا تحمل ولا تلد .

حسم القضية :

ولأننى لا أميل إلى الدخول فى مثل هذه المسائل الجدلية ، فإننى أفترض صحتها ، وأذهب مع الذاهبين إلى إمكانية اكتساب الأنثى شكل وصفات الرجل ، وإمكانية اكتساب الذكر شكل وصفات المرأة .

وهذا فى نظرى يعمق موضوع الاختيار بالنسبة للإنسان ويزيد من ضرورة التنظيم ومن أهميته .

خاصة وقد تأكد أن المولود البشرى يحمل عند ولادته هرمونات الرجولة والأنوثة معا ، ويبقى على المجتمع أن يختار تنمية وتغليب أحدهما على الآخر .

فالاختيار هو مناط النقاش والمسئولية ، أما تأنيث الرجل أو ترجيل المرأة فأمر محتمل وممكن لا نجادل فيه ، ولا نرى أن فى ذلك ما يحتمل جدلا أو مناقشة .

طبيعة المرأة :

أما ما يقال عن طبيعة المرأة وما يؤثر عليها من طمث ونفاس ، وما تحتمل نتائجه من مقدمات الحيض ونتائج الولادة ، فكلها أمور واقعة يجادل فى إمكانية تغييرها بعض المتحمسين لموضوع المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

وقد تناول بعض المعارضين لموضوع المساواة بين النوعين عدد هائل من الكتاب تلمسوا فى طبيعة المرأة ما يمنعها من ممارسة أعمال الرجال ، إلا أن المطالبين بالمساواة لم يعوزهم الدليل على أن تكوين المرأة العضلى والحيوى البدنى والنفسى ؛ إنما هو من صنع الزمن وتراكم السنين .

بل ذهب بعض المتحمسات للمساواة إلى حد اتهام الرجل بأنه السبب فى وجود التكوين الأنثوى للمرأة ، بسبب القوانين التى صنعها وألزم المرأة بها على مدى السنين الطويلة السابقة من التاريخ الإنسانى .

وهؤلاء وأولئك لانعارضهم « ولا نسمح لأنفسنا بفتح باب الجدل معهم « لأنها موضوعات لا تنتهى عند حد ولا تحسم القضية لصالح النوعين ولا لصالح أحدهما ، إنما سنضع الموضوع فى موطن الاختيار الحر ، ما دامت المرأة تملك أن تسترجل ، وما دام الرجل يملك أن يتخنث أو يتأنث ، وما دام المجتمع أو النظام يستطيع أن يتبنى أسباب وسائل التخنث والتأنث والترجل فليكن نقاشنا منصبا على أهمية الاختيار فى هذا الميدان ومسئولية الاختيار ونتائجه ، وأى الاختيارات يخدم حق الكرامة لكل نوع ، وحق التقدم للمجتمع !!

وأين يجد كل مكانته من هذا الاختيار أو ذاك ؟؟؟

تكامل النظم :

من محاسن ومميزات النظم العامة أن تكون متكاملة متوازنة ، بحيث تلتقى الجزئيات والنظم الفرعية مع الكليات والقواعد العامة فى تحقيق الهدف المنشود بأقل الجهود والتكاليف ، وبأسرع الأوقات .

بمعنى أن جزئيات النظام العام يجب أن تترابط فى وحدة يكمل بعضها بعضا ، ويعاون كل جزء منها الجزء الآخر فى أداء مهمته وتحقيق وظيفته .

أما إذا تصارعت أو تعارضت أو تناقضت جزئيات النظام العام الواحد بحيث يعطل بعضها إنجاز البعض ، أو يبدد جزء ما يجمعه الجزء الآخر ، فإن هذا ولاشك يعد من مساوىء النظم العامة .

لهذا فإن مكانة المرأة فى المجتمع المسلم ترتبط وتتداخل مع نظم

المجتمع وجزئياته ، بحيث تؤثر وتتأثر بكافة القواعد والفروع العامة والخاصة للمجتمع .

وإذا أردنا مناقشة علمية هادفة لمكانة المرأة لزم أن نتناول مع ذلك مكانة الرجل أيضاً ، ومكانة الإثنين من مكانة المجتمع العام الشامل ، وهذا يتطلب الحديث عن الاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم والإعلام وكل قضايا التأثير اللازمة للوصول إلى المكانة المرموقة للفرد وللمجتمع .

وقبل أن نخوض فى كل هذه المسائل الفرعية والعامة ، علينا أن نقرر ضرورة اصطحاب المنهج العلمى الدقيق فى كل خطوة نخطوها بالإضافة إلى الإقناع العقلى للقارىء بصرف النظر عن مستواه العلمى والثقافى ، لأننا بصدد قضية يجب أن تحسم تماماً من الناحيتين العلمية والعقلية ، ولن يحسمها إلا الاتفاق على مسلمات يتفق عليها عامة الناس وخاصتهم ، ودافع الجميع إلى البحث عن حسم هذه القضية ، هو الذى سيدفعهم إلى المشاركة فيها لعلاقتها بمطلب هام وحساس وفطرى وملازم لكل فرد فى كل مجتمع .

ذلك المطلب هو « السعادة » والسعادة أمر يتوقف على تحقيق الإنسجام والمودة والتعاون بين أجزاء المجتمع وقضاياه وعلى رأسها (قضية المرأة) .

فلنتفق إذن على أهمية تكامل وتناسق نظم المجتمع الواحد كقاعدة لتحقيق تكامل وتناسق الجزء أو الفرد الواحد . إذ لا يتخيل آدمى إمكانية تحقيق السعادة فى ظل الخوف والقلق ، والحرمان ، كما لا

يتخيل بشر إمكانية تحقيق الطمأنينة ورغد العيش فى ظل الصراع والفتن والكراهية والحقد العام ولابد أن يلعب الشارع النظيف المتناسق دوراً فى إسعاد الفرد الذى يتحرك فيه .

كما لابد أن تلعب المدرسة الصالحة دوراً فى إسعاد الطالب وولى الأمر ، وهكذا .

فلا مناص ولا مفر لطلاب السعادة من الحرص على طلب التقدم والبحث عن وسائله وأسبابه .

كما أن طلاب التقدم والباحثين عن وسائله وأسبابه لا يفترون عن اغراء الناس بالسعادة المرجوة والرفاهية المستهدفة وحرصى المكرر على تذكير القارىء بهذه الضرورات وتلازمها يدفعنى إليه الأمل فى إقناع كل آدمى أياً كان مذهبه أو دينه أو وطنه بأهمية هذه الدراسة ويبعدها تماماً عن العصبية والتشدد والغلو .

إنما هى دراسة علمية متجردة من كل الأهواء والأغراض إلا غرض الاصطلاح على الخط السليم المستقيم ، أقرب الطرق الموصلة إلى الهدف المشترك .

هدف السعادة لكل إنسان فى كل مكان وزمان ، وتكامل هدف السعادة مع جزئيات النظام العام ، سياسة واقتصاداً واجتماعاً أول ما يجب الاتفاق عليه الآن . وهو ما سيتضح تماماً بإتمام هذه الدراسة إن شاء الله .

تربية وتعليم المرأة :

ترتبط عملية التربية والتعليم بأمرين أساسيين هما بدن الإنسان

وعقله .

وتربية البدن تمر بمرحلتين هما مرحلة التنمية إلى حد النضج ومرحلة الاستثمار إلى نهاية العمر .

وتربية العقل تمر بثلاث مراحل مرحلة التربية إلى حد التمييز ومرحلة التعليم والتوجيه والتثقيف إلى حد القدرة على الاختيار ، ومرحلة الاستثمار إلى ما شاء الله .

وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى أسباب ووسائل وأساليب تخدم كمال كل مرحلة ، وتحقق الهدف منها .

ومن المعلوم أن الدراسات والبحوث الحديثة قد تدخلت وحاولت أن تجدد لكل مرحلة متطلباتها من العلوم والمواد والوسائل والأساليب حتى نجح بعض المجتمعات وأخفق البعض فيما يتصل بمرحلة الاستثمار .

إلا أن جميع النظم الوضعية كما يؤكد الواقع والملاحظة والتجربة قد أخفقت فى توفير مطلب السعادة لكل أفراد مجتمعاتهم وهو ما يدل على وجود خلل فى عملية التربية والتعليم ، تجعلها لا تتكامل مع عملية البناء السعيد الصالح للإنسان . ولاتزال المرأة تعتقد أن المطالبة بالمساواة مع الرجل فى الحقوق والواجبات هو الذى سيحقق مكانتها المرموقة وسعادتها المستهدفة فى بلاد العرب والمسلمين .

فى حين ضاقت المرأة ذرعاً بتلك المساواة فى بلاد أخرى كانجلترا وأمريكا ، وتتمنى أن تجد نفسها فى بيت معزز مكرم يقوم على رعايتها وحمايتها واسعادها رجل شهم كرجال الشرق ، وتقوم هى

بتوفير مطالبه ورعاية بيته وتربية أولادهما ، ليلتقيا آخر النهار فى مودة وحنان .

وأمام طغيان المادة فى هذا العصر ، وفى مواجهة شره الغرائز الحيوانية الجانحة لم يجد ضعف الإنسان رجلاً وامرأة ، إلا التعلق بالمخدرات والبحث عن كل ما يغيِّب العقل ويبعده عن التفكير ومواجهة الواقع المرير بخيال وأوهام وإغراق فى اللهو واللغو ولا يريد منهما مخرجا .

وقد تأثر خط التربية والتعليم بهذه الخيالات والأوهام ، وذهبت بعض الدول ، بل معظمها إلى الأخذ بنظام يتضمن وسائل اللهو وأسباب اللغو كأسس فى مواد التربية والتعليم ، كالرقص والموسيقى بدعوى المساهمة فى ترقية سلوك ووجدان التلاميذ . ويذهب الإغراق فى هذه الأمور إلى حد إنشاء الوحدات التعليمية والتربوية التى تتخصص فى تربية الأجساد والعقول على هذا الأساس ، وتصبح ولاهم لها فى الحياة غير التفنن فى أداء حركات بدنية بهلوانية أو راقصة أو التفنن فى أداء كلمات غنائية أو اللعب بالأدوات والآلات الموسيقية تسابق فى ذلك المجتمع المسلم مع المجتمع الكافر بلا فوارق أو فواصل .

وقبل أن نطرح التصور الصحيح المستقيم للتربية والتعليم لابد من التعرف على الهدف أو الغاية منهما .

هدف التربية والتعليم :

تحقيق مصالح العباد مادياً ومعنوياً للفرد والمجتمع ، بطريقة

تضمن الوفاء بحق كل فرد فى الكرامة الذاتية ، كما تضمن الوفاء بحق المجتمع فى الرخاء والتقدم والأمن ، هو ملخص الأمل المستهدف للتربية والتعليم .

جسد المرأة :

وجسد المرأة له غايات لصاحبته تتضمن الحرص على صحته وتناسقه ورشاقته ، كما أن له غايات لمجتمعه تتضمن قدرته على العطاء وبعده عن الاستهلاك المسرف أو التبذير المهلك .

وبشيء من التأمل ندرك أن جسد المرأة يتضمن عند تمام نضوجه اتجاهان .

اتجاه الاستهلاك ، واتجاه الانتاج .

وبنجاح المجتمع فى ترشيد اتجاه الاستهلاك لصالح اتجاه الانتاج يملك من طاقات النساء ما يخدم خطوات التقدم والرخاء والعكس صحيح تماماً إذا فشل المجتمع فى ترشيد اتجاه الاستهلاك فإن صحة البدن تحتاج للأموال وتستهلك منه أكثر مما يعطى البدن ويتم ذلك على حساب الاقتصاد العام .

ومن باب الاستهلاك الرهيب والتبذير المهلك أن يتجه جسد المرأة إلى الإثارة وتهييج شهوات الرجال ، فتتبدد جهود الجنسين فى البحث عن المتعة الجسدية ، ويستهلكون فيها ما يحتاج المجتمع إليه من طاقات تخدم الانتاج وتساهم فى زيادة الرخاء .

وهذا الادراك هو الذى يميز أسلوب ووسائل التربية والتعليم فى الإسلام عنه فى غيره من النظم والمذاهب والأديان .

فالنظرة العلمية لجسد الإنسان باعتباره طاقة منتجة ، فيها من الدوافع ما يمكن أن يتحول بهذه الطاقة إلى التبدد والهلاك فى بحار الجنس واللذة والصراع والعداء ، تحكم قواعد التربية والتعليم الإسلامية وتجعلها تزن هذه الطاقات بميزان الاستثمار العلمى لهذه الطاقات بحيث تصبح طاقات معطاءة دائماً ، لا تتوقف عن العطاء إلا بالموت .

يبقى بالضرورة إقناع الإنسان بأهمية طاقته وأهمية توجيهها إلى الطريق الصحيح للاعطاء والإنماء والانتاج ، وهذا ما تتضمنه وسائل وأساليب التربية والتعليم .

إلا أن الإقناع يستلزم الإحساس بالكرامة الذاتية لكل فرد كلما ساهم فى المحافظة على جانبه الإنتاجى واقتصد فى جانبه الاستهلاكى .

وهذا الأمر يتطلب مع وسائل التربية والتعليم النمطية اتفاق وسائل التوجيه والثقافة فى المجتمع على احترام قواعد التكريم التى تضمنها شرع الإسلام ، وهى قياس المرء والمرأة بمقياس التقوى والعمل الصالح .

عقل المرأة :

وعندئذ لابد من توجيه لعقل المرأة بحيث يميز بين الفضيلة والرذيلة أو بين الخير والشر ، أو بين المعروف والمنكر ، فتتعلم كما يتعلم الرجل ، كل ما يؤدى إلى الفهم والوعى والتمييز ، وتحرير الإرادة والاختيار بحيث تدرك طبيعة الخير والفضيلة والمعروف ، وتعلم طبائع الشر والمنكر والرذيلة ويبقى عليها أن تختار بحر إرادتها

الطريق الذى يوصلها إلى خيرى الدنيا والآخرة .

ويبقى من جانب المجتمع أن يستثمر هذا التعليم وهذا الإدراك فى زيادة الإنتاج وترقية الحياة العامة ، بتكريم طاقات المرأة وتوجيهها إلى حيث تعطى أكثر مما تستهلك،وعليه فإن التسليم بحق المرأة فى المشاركة مع الرجل فى تربية بدنها وتعليم وتثقيف عقلها أمر لا يختلف بشأنه أحد، كما أن الاتفاق على استثمار طاقاتها وتوجيهها لخدمة المجتمع من المسلمات التى لا يجادل فيها اثنان .

مفهوم العمل :

وإذا كان مفهوم العمل يعنى المساهمة فى زيادة الانتاج ، بالقول وبالفعل ، فمفهوم عمل المرأة لا يتنافى مع دورها فى البيت ، لأن هذا العمل إما أن تقوم به المرأة أو يقوم به غيرها ، وانتقال عمل المرأة إلى حاضنة لا ينفى كونه عملاً ، واقتسام عمل المرأة بين بعض المؤسسات والأفراد لا ينفى وصفه بالعمل .

ومن التزييف الواضح أن يقال بأن المرأة فى البيت لا تجد عملا ولا تسمى عاملة إلا إذا خرجت إلى الشارع ، وخالطت الرجال .

وفى سبيل خدمة هذا الزيف أنشئت دور الحضانة الصناعية لتقوم امرأة أخرى بنفس العمل ، ولست أدرى أتسمى الحاضنة عندئذ امرأة أم تسمى بغير ذلك ؟؟

وإذا كانت مؤسسات التعليم والتربية تحرص على اقتناص الأولاد من البيوت قبل سن السابعة ، فإن المرأة بإمكانها أن تعلم أولادها كل

ما تقوم به المدارس الابتدائية لمدة عامين أو ثلاثة ، فتغنى الحكومات والدول عن آلاف الفصول وملايين النقود المهدرة بدون حساب ، ويمكن أن تبدأ مؤسسات التعليم بالسنة الثالثة أو الرابعة بعد امتحان تجريه للتلاميذ ، وتكافىء عليه الأمهات .

وعلى كل حال فإن إقبال المرأة على أى عمل مرهون بتكريم ذاتها واحترام شخصيتها ، وتقدير جهودها من الحكومة والأفراد لأنها تبحث عن ذاتها كما يبحث الرجل ، وتبحث عن كرامتها كما يبحث الرجل » وهكذا .

وهو ما سنناقشه فى مكانه من هذا البحث بعون الله تعالى .
المهم أن تدرك سر تزييف صفة العمل بالنسبة للمرأة، فلا يسمون تلك المهام الخطيرة التى تقع على عاتق المرأة عملا لأنها تقسم العمل بين النوعين ، وتؤدى إلى تخصص كل منهما بما يعينه على تجويد العمل والإخلاص فى أدائه .

فالاتفاق على أهمية تربية وتعليم المرأة يواكب الاتفاق على أهمية استثمار طاقاتها بالطريقة التى تحقق ذاتها المكرمة وفائدة المجتمع لإنسانى .

وعلينا أن نبحث الآن عن أرقى وسائل تربية وتعليم المرأة التى تحقق مطالب الذات المكرمة والمجتمع المتقدم .

المرأة تتعلم ما يتعلمه الرجل فى المرحلة الأولى :

لأن المرحلة الأولى تهتم بتوصيل العقل إلى مرحلة القدرة على

الاختيار وتحرير الإرادة بحيث يصبح كل فرد مسئولاً عن اختياره ، ولأن تربية البدن المواكبة لهذه المرحلة ، لا يختلف فيها الذكر عن الأنثى إلا قليلا .

وكانت أوامر القرآن وأوامر السنة شاملة للنوعين بضرورة التعلم وتنفيذ التكليف الشرعى المشترك من طهارة وصلاة وصيام او زكاة وحج وإيمان بالله واليوم الآخر ، لا يختلف فى ذلك رجل عن امرأة ، كما أنه لابد من دراسة توصل إلى معرفة بالكتاب وبالسنة ، وتوصل إلى علم بالعلاقات الاجتماعية ، والتاريخ الإنسانى وخبرات الأجيال ، وطبيعة النفس ، وطبيعة الصلة بين الذكر والأنثى ، ومراحل التطور ، وعلم الحساب ، وغير ذلك من الضرورات لازالة الأمية الدينية ، والأمية الثقافية ، والأمية الكونية العامة ، إلى الحد الذى يمكن الرجل والمرأة من معرفة الحق والواجب ، وكل ما يلزم للتربية والحضانة وصناعة الأجيال البشرية ، صناعة ممتازة ، تحفظ الطاقات وتنميها وتحسن استثمارها ولعل هذا ما تضمنه حديث رسول الله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وكل مسلم شامل للذكر والأنثى كما قرر العلماء ولأن المرأة مكلفة بتنمية ثقافتها بعد المحافظة على عقلها جاءت التكاليف فى القرآن بنداء واحد مشترك ، مثل قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ... الآية ﴾ .

وجاء حديث رسول الله ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع فى أهل بيته ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها » ..

المرأة تفترق عن الرجل .. والرجل يفترق عن المرأة :

مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة لا يعنى إلا التطبيق العلمى الدقيق للمساواة الحقيقية وهى منح الفرصة المتكافئة للرجل والمرأة على حد سواء فى إبراز كل لمواهبه وقدراته ، وتكريم كل منهما بقدر إخلاصه لهذه المواهب والقدرات .

فالرجال لا يتساوون ولا يمكنهم التساوى بالمفهوم المتخلف للمساواة ، والذى يعنى ضرورة المشاركة فى كل الحقوق والواجبات العامة والجزئية .

لأن منطوق هذه المساواة يقتضى المطالبة بالمساواة فى حق دخول كليات محددة دون غيرها كالطب والهندسة والصيدلة مثلا ، وحرمان المجتمع من بقية التخصصات والوظائف الأخرى وإذا كان المجتمع قد وضع حدوداً يفرق بها بين رجل وآخر فإنه يجب أن يضع هذه الحدود ليفرق بها بين الرجل والمرأة ولأن هذا لا يتعارض مع مفهوم المساواة ، فكذلك إذا افترقت المرأة عن الرجل فى حدود التخصص والدراية والعمل المعيّن .

إن التخصص الذى يعين على تجويد الصنعة وخدمة الوظيفة من سمات العصر وقيمه ، فلماذا نقول به فى جزء دون الآخر لقد اضطرت مصر فى الآونة الأخيرة إلى تقسيم الدارسين إلى قسمين :

قسم يتوقف فى دراسته عند مراحله الفنيه المتوسطة ، وقسم يواصل دراسته إلى المراحل الجامعية .

ولا يعنى هذا الحرمان من المساواة « فلماذا يسمى بعضهم تخصص المرأة فى وظائف معينة أمراً يتنافى مع المساواة لقد اختار أدعياء الشر والتخلف أسلوباً استفزازياً لدعوتهم حينما بدأوا بتزوير عدد من مفاهيم الحياة » ومنها :

مفهوم المساواة .

مفهوم الحرية .

مفهوم العلم .

مفهوم العمل .

لهذا فإننا نجد من الضرورى تحديد هذه المفاهيم « وتوضيحها للقارىء ليرى عن قرب حقيقة ما يدعو إليه الإسلام وحرصه على كرامة الإنسان فرداً ومجتمعاً .

مفهوم المساواة :

فرصة متكافئة أمام البشر جميعاً تجعلهم يسألون عن اختيارهم ويكافأون أو يعاقبون على سلوكهم الذى سلكوه بحر إرادتهم وتفكيرهم .

وبهذا المفهوم تتساوى المرأة مع الرجل فى فرصة اختيارها طريقاً مستقيماً يوصلها إلى سعادة الدنيا والآخرة ، أو العكس وبهذا المفهوم لا يجد واحد من البشر نفسه معوَّقاً عن اختيار طريق الخير ، واتباع هداه وإبراز مواهبه وقدراته وطاقاته بإخلاص لتحقيق كرامته وصيانة عزته ، ونصرة مجتمعه وقيمه العامة .

وهذه المساواة لا تتعارض مع تنظيم الطاقات وترشيد الاستهلاك

وتوجيه العقول ببيان الحق من الضلال والخير من الشر ، والرذيلة من الفضيلة ، بل يلزم المساواة أن تشيع هذه المعارف وتذاع حتى لا يخدع أحد أو يضلل .

هذه المساواة لا تتعارض مع تقسيم المواهب وتوزيع طاقات الناس لتجويد الصناعات وإنماء المجتمعات ولا يعقل أبداً أن يصبح الجيش كله من القُوَّاد لتحقيق المساواة وتفويت النصر .

كما لا يعقل أبداً أن يقال بأن الإمارة والقيادة تتنافى مع المساواة .

وأعجب العجب أن تدَّعى بعض النساء أن قيادة الرجل للبيت وللأسرة يتنافى مع المساواة ، فى الوقت الذى يلزمها أن تستسلم وتنفذ أوامر قادتها فى العمل والوظيفة العامة .

فالمساواة إذن حق يمكن الفرد من توظيف مواهبه لصالح نفسه ومجتمعه ، وحين ينظم المجتمع الوظائف وينوعها بحيث تشمل كل الحرف والصناعات التى يحتاج إليها ، لا يتعارض ذلك مع المساواة ، ولا يتنافى مع حق الاختيار لأى وظيفة يمكنه أن ينجح فيها .

مفهوم الحرية :

أما مفهوم الحرية فيعنى الانطلاق بلا قيود أو عوائق للطاقات العقلية البناءة .

وبما أن الإنسان يحمل فى ذراته اتجاها إلى التبديد والإسراف والإنحلال والإباحية ، مما يقتضى ضبط وتنظيم اتجاه الشهوات والهوى والحيوانية .

ومفهوم الحرية بهذا المعنى يعنى اطلاق العنان للإنسان فى الإنسان ، وبمعنى آخر يعنى إطلاق ميزة الإنسان التى تميزه عن سائر الكائنات ، فيصبح بإطلاقها كائنا متميزا عن الحيوان وهذا الإطلاق يتطلب بالضرورة وقف الغرائز والشهوات الحيوانية عند حدود الهدف الذى خلقت من أجله .

فجاء التنظيم للاتجاه الحيوانى الغرزى الشهوانى من أجل إطلاق عنان الاتجاه الإنسانى العقلانى المحسوب .

وبهذا يتحدد مفهوم الحرية بأنه إطلاق عنان طاقات البناء والعطاء والتجديد والتجويد ، مع ضبط اتجاه الاستهلاك والتبديد والإسراف والتخريب .

ولا تناف أو تعارض بين الأمرين ، لأن الخيار بين تحرير الإنسان فى الإنسان ، وبين تحرير الحيوان فيه ، فجاء مفهوم الحرية الدقيق باختيار تحرير الإنسان فى الإنسان ، وهو اختيار الإسلام المستند إلى العلم والمنهج العلمى الصحيح .

ولاشك أن ذلك يخالف المفهوم المزيّف للحرية وهو الذى يريد بها فوضى الجنس واللذة وشيوع الحيوانية والعدوان أى أن التزييف أراد للحرية أن تكون إطلاقاً لعنان الحيوان فى الإنسان ، فيخرج بمثل هذه الحرية عن إنسانيته ، ويعُوّق بها مميزاته التى يتميز بها عن الخنازير والبقر .

وإذا عالجنا موضوع حرية المرأة باعتبارها إنساناً ، فإن كمال إنسانيتها لا يتحقق إلا بتحرير عقلها ومواهبها المنتجة ، لا بتحرير

الجسد الحيوانى والغرائز البهيمية .

وعليه فإن المرأة الحرة هى المرأة التى تتخذ قراراتها من إرادة عقلها وليس من رغبات جسدها ، وهى التى تسمع نداء الإنسان فيها ، كما يحدده العلم ويقرره الإسلام لا نداء الحيوان ..

مفهوم العلم :

أما مفهوم العلم فلا يعنى إلا اليقين المجزوم بصحته استناداً إلى البرهان والدليل .

اليقين الذى يشهد بصحته الواقع أو تقوم التجربة والملاحظة على إثباته ، أو يقرره عالم خبير محيط بموضوع البحث يقوم الدليل على علمه وخبرته وإحاطته ، ولا يحكمه الغرض أو الهوى .

العلم الناتج عن المنهج العلمى الصحيح هو الذى يصح أن يكون موقع التسليم والإيمان .

أمّا العلم المزيف الذى يدعيه المغرضون وأصحاب الأهواء فهو الإدعاء بمعرفة مالا يقع تحت حس أو مشاهدة ، ولا يمكن لأحد من البشر أن يحيط به أو يختبر أجزاءه ، كالادعاء بمعرفة طبائع النفوس ، أو الادعاء بمعرفة أسباب صلاح المجتمع البشرى فذلك ما لا يمكن لبشر أن يحيط به أو يلم بأجزائه ، وبالتالى لا يصح لأحد أن يفتى فيه إلا من باب الرأى والنظر ، لا من باب العلم واليقين .

ولقد شهدت الأيام الحديثة مجموعة من الادعاءات العلمية يقوم الدليل على زيفها ، ويشهد الواقع ببعدها عن أدنى درجة من درجات

العلم ، وعلى رأسها القوانين الوضعية وما يسمى بعلم النفس » وعلم الاجتماع .

إذ عماد اختباراتهم وملاحظاتهم لا تعدو أن تكون تجارب على القطط والكلاب ، أو الاستشهاد بمجموعة آراء وكلا الأمرين لا يصلحان للوصول إلى علم أو الحصول على معلومة صحيحة ، فالنفس الإنسانية تختلف عن نفوس القطط والكلاب، والآراء قد تصدر عن أهواء لا يدرى عنها الباحث ولا يملك معرفتها .

وبالتالى فالعلم الصحيح لابد من صدوره عن عالم خبير محيط ولابد من اتباع المنهج الموصل إليه ، فإذا عجز الإنسان عن تطبيق المنهج العلمى الصحيح » فإن معلوماته لاتسمى علما » ويبقى على الناس أن يأخذوا مثل هذا العلم من العالم المحيط الخبير الذى يعلم السر وأخفى ، وهو الله سبحانه وتعالى .

حسن الاختيار :

بانتهاء المرحلة الأولى للتعليم وهى المرحلة التى تتضمن العلوم والمعارف الضرورية لتوصيل النوع الإنسانى إلى القدرة على التمييز بين الخير والشر ومعرفة الفضيلة من الرذيلة أى إلى أسس وقواعد التعرف على نوعية الأعمال والأقوال وهدفها وغاياتها ، والتعرف على مقياس الفضائل وكيف تفترق عن الرذائل ومثلها مقياس الخير والشر ، واكتشاف المواهب والطاقات الفردية بتوصيل النوع البشرى إلى هذا الحد من المعرفة بطريقة تسلم من الضغط وإكراه أذواق الأطفال على اختيار اتجاهات بعينها لا تخضع للعقل ولا تقرها الفطرة الإنسانية

المتميزة .

تبدأ مرحلة ثانية هى مرحلة الاختيار واستقلال العقل البشرى وهذه المرحلة تتطلب من النظام العام أن يختار أولاً بين صناعتين :

أولاهما : الصناعة التى تحرص على تنمية الأنوثة فى الإناث والرجولة فى الذكور .

ثانيتهما : الصناعة التى لا تهتم بهذا المعنى .

أمّا الصناعة الأولى وهى التى تحرص على التمييز بين الذكر والأنثى وتنمية هذا التميز فى كل نوع ، فإنها تخدم هدفاً اجتماعياً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعنى السعادة وطريقة الوصول إليها .

ذلك لأن التجاذب الذى يشد الذكر إلى الأنثى والأنثى إلى الذكر ويشوّق كلاً منهما إلى الآخر ، وتتحقق به أقصى درجات التمتع واللذة الحسية والمعنوية ، التجاذب الفطرى الذى شهد العلم بضرورته وأكدت التجربة وجوده بدرجات تتفاوت بتفاوت درجة التمايز بين النوعين .

التجاذب بهذه الصورة لا يتحقق بالصورة التى تخدم السعادة البشرية إلا إذا اتسعت درجات التمايز والاختلاف بين النوعين ، وهذه مسلمة علمية تشهد بأن الإنسجام لا يتحقق إلا عند الاختلاف والتفاوت بين العناصر ، كما أن التنافر يتحقق باتفاق وتساوى الأشكال والهيئات .

وهو ما يعنى أن الرقة والنعومة فى نوع الأنثى يقابلها القوة

والخشونة فى نوع الذكر من ضرورات تحقيق الإنسجام والتمتع واللذة .

كما يعنى تربية روح المغامرة والجرأة واقتحام الأهوال فى الرجال يقابله تربية روح الحرص والحياء والدفاع لدى الأنثى من مقومات تحقيق المودة والرحمة بين النوعين .

وكأن الأنوثة بمعناها الدقيق من مطالب المجتمع السعيد كما أن الرجولة بمعناها المتميز من أهم هذه المطالب لسعادة النوعين وعليه يكون اختيار النظام العام لتعميق الفروق الخِلقية بين الذكر والأنثى من ضروروات تحقيق السعادة واللذة والمتعة لأفراد المجتمع .

فإذا أراد النظام العام أن يبحث عن هدف أرقى من هدف السعادة واللذة والمتعة للأفراد ، فعليه أن يجيل النظر فى وظيفته الدقيقة الأساسية ، وهى وظيفة الأمن والاستقرار والتقدم .

إن الأمن البشرى يبدأ من الأسرة المستقرة ، ومن الانسجام النوعى فالصراع والجريمة والتنافر بين البشر وبيئتهم ، وبين بعضهم البعض تثيره شهوة الجنس أو شهوة الحيازة والتملك أو غيرهما فإذا ضبطت شهوات الناس فى إطار ينتظمها ويحقق الإنسجام لها مع البيئة والأفراد تبدل حال المجتمع وأصبح التعاون والمودة والتكافل والاتحاد من السمات الأساسية له .

ولاشك أن القلق والعصاب والحسد والكراهية والشقاق وغير ذلك من الأمور المتسببة فى الصراع والجريمة وراءها أسرة غير مستقرة ، ونظام متنافر ، لا انسجام بين أجزائه وأنواعه وأفراده .

لهذا فإن الاختيار الأمثل ، وهو الاختيار الذى يحبذه العلم ويخدمه الهدف الإنسانى فى السعادة يتجه إلى أهمية تعميق وتنمية التمايز بين نوعى الذكر والأنثى .

أما اختيار صناعة الإنسان بالطريقة التى لا تهتم بهذا المعنى . فهو اتجاه إلى إهدار الأنوثة فى المرأة وإهدار الرجولة فى الذكر ليصبحا متقاربين فى الشكل والهيئة والتكوين النفسى والعضلى فيتنافرا ، ويجرى البحث عن المتعة واللذة والسعادة الفطرية فيتخذ البحث منافذه الشاذة وآثاره المدمرة .

إن اللواط والسحاق من شواهد العلم على خطأ اختيار اهدار الأنوثة فى نوعها والرجولة فى نوعها .

وحيث يجد الذكر متعته مع ذكر آخر ، فى مجتمع مفتوح اختلط فيه النوعان ، واستباحا فيه الجنس والعشق ، فإن عزوف الذكر عن الأنثى إلى الذكر دليل ضياع المعنى الحقيقى للسعادة السعادة التى أرادها الإسلام للمجتمع الإنسانى . بالالتزام بالاختيار الأول ، وهو اختيار تعميق التمايز والاختلاف بين النوعين .

العمل وتعميق التمايز :

أما وقد تبين أن الرجال يحملون فى تكوينهم الجسدى هرمونات الأنوثة كما تبين أن النساء يحملن فى تكوينهن الجسدى هرمونات الذكورة ، فإن اشتغال النساء بأعمال الرجال ينمى فيهن هرمونات الرجولة ، كما أن اشتغال الرجال بأعمال النساء ينمى فيهم هرمونات

الأنوثة .

وهو ما يعنى حدوث خلل فى التكامل والتجاذب المطلوب لتحقيق المتعة والانسجام بين النوعين .

فنجد النعومة فى الرجال والخشونة فى النساء ، كما نجد الصوت المنفر فى المرأة ، والصوت الرقيق فى الرجل .

وبالتالى تقل درجة التجاذب الفطرى بين النوعين ، وتتحول إلى تجاذب شاذ فى النوع الواحد لوجود أسبابه .

وهو ما وقع بالفعل فى الدول التى أشاعت الجنس وأباحت الاختلاط بلا حدود أو قيود .

وتحقق الخلل الاجتماعى الخطير حتى أباحت الكنيسة فى إنجلترا الشذوذ الجنسى رسمياً .

ولا ريب أن هذا الوضع لا يخدم هدف السعادة ولا يحققها لا للفرد ولا للأسرة ولا للمجتمع .

الأمر الذى يترتب عليه اختيار التفريق بين الذكر والأنثى فى مرحلة البلوغ ، وهى المرحلة التى يدخل بها كل فرد ذكراً كان أو أنثى مرحلة المسئولية أمام الله سبحانه وتعالى عن أقواله وأفعاله وهى أيضاً المرحلة التى يجب على المسلمين أن يحسبوا حسابها فى المرحلة الأولى للتعليم بحيث يصل مجموع المكلفين إلى سن التكليف وقد توفرت فى كل واحد منهم القدرة العلمية الكاملة للاختيار الحر المسئول،اختيار الكلمة التى ينطق بها لسانه ، واختيار الحركة التى

تصدر عن كل جزء فى جسمه .

فنظام الإسلام يحرص على الطاقات الفردية وينميها ويهيىء لها كل فرص التقدم والازدهار .

المرأة موظفة محترمة فى البيت :

كرم الإسلام وظائف الإنسان المنتجة أو التى تساعد الانتاج وتخدمه ، ومن أعظم هذه الوظائف وأشرفها وأخطرها على الإطلاق وظيفة صناعة الأجيال وبناء الإنسان منذ صغره وعند تأسيسه وصياغته على النحو الذى يقود خطى الأمة ويساعدها على التقدم والرقى .

اختار الإسلام لهذه الوظيفة نصف المجتمع الذى خلقه الله مجهزاً بمقومات النجاح فيها ، ثم قدم الإسلام من جانبه الأسلوب والقواعد التى تفيد المرأة وتخدمها وتمكنها من تحقيق هذا النجاح على أكمل وجه لحساب المجتمع ولحساب الوليد ولحسابها هى أولاً وقبل كل شىء .

فقد اعتبرها الإسلام موظفة فى البيت لها كل حقوق الموظف فى أى مكان ، فلها أجر الوظيفة المادى ، ولها أجرها المعنوى .

ولها حق التكريم كلما ازداد إخلاصها لوظيفتها ، ولها أوسمة الشرف التى تمنح لكل من يقدم الخدمات الفذة للمجتمع .

ولها وضعها الاجتماعى المتميز فى عين الرجال والنساء ، وفى إطار النظام العام وفى دور الاقتصاد ، وفى عين التربية والتوجيه

والصحافة والإعلام ، وفى عين الفن الإسلامى والأدب والتشريع والقضاء ولها فضلها كفضل الرجال ، فرصة متكافئة كلما أخلصت زاد فضلها وزاد تقديرها واحترامها .

وهكذا كانت المرأة فى الإسلام عضواً اجتماعياً له كيانه وله تقديره ، وله كرامته ، تنال ذلك وتغترف منه كما يغترف الرجال سواء بسواء ، حيث لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى لأن الحياة ميدان جهاد يستوى فيه الجندى والقائد عند كسب المعركة أو خسارتها ، والتعاون لكسبها ، لا فرق بين أن تكون من مهمة القائد أصدار الأوامر ، ومن مهام الجندى الطاعة والتنفيذ هل ينقص ذلك من فضل الجندى شيئا ؟ اللهم لا ...

الإسلام والنظريات المستوردة :

تظل النظريات تتناقض وتتصارع ما بقيت بعيدة عن الحقيقة ، ولأن العلم حقائق ، فالنظريات البعيدة عن العلم وإن لبست ثياب العلم وادعت السير على منهجه . لا يتأتى التسليم بها ولا يقع إلا من البسطاء والجهلة والمغفلين .

ولهذا تكون أرض الجهلاء والبسطاء والمغفلين هى أخصب البقاع التى يروج فيها الزيف ويسيطر فيها النفاق والتضليل .

ولهذا أيضاً تكون هذه الأرض أخصب البقاع التى تقاوم الحقائق وتصادمها وأغرب من ذلك أنها تصادم وتقاوم الحقائق والعلوم بما أوتيت من زيف أو بما ورثت من جهل ، أو بما وقعت فيه

من ضلال .

وقد دأبت الثقافة المستوردة بهدف القضاء على الأمة وإبقاء أبنائها أذلاء ، متخلفين ، دأبت هذه الثقافة فى غيبة الثقافة الإسلامية الصحيحة ، على الترويج لكل زيف يبدد نشاط هذه الأمة ويضيع معالم الأمل فى أى مستقبل أفضل .

والغريب العجيب أن تحمل كل أجهزة التأثير والتوجيه والثقافة والإعلام فى مصر والبلاد العربية والإسلامية أمانة تحقيق وتوصيل هذه الثقافة ، وتلبسها ثياب العصرية والمدنية والتحضر ثم العلم وهذا هوالأدهى والأمر ..

لكن يشاء الله أن يكون للحق صوت خلال هذه الأجهزة بين الحين والحين وإن بدا صوتاً خفيضاً إلا أنه يبدد أمام العقلاء كل غيوم الظلمة مهما كانت كثيفة ، ويصير تأثيره أقوى من كل الضوضاء التى يثيرها أصحاب الأقلام المسمومة ، ومن ذلك الحق ما نشرته جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ١٩٧٠/١١/٢٢م وهو تقرير هيئة اليونيسيف العالمية عن الأطفال وهو تقرير يجعل من الأجدر بهذه الأجهزة وبكل المضللين أن يعودوا إلى صوابهم . فالتقرير كما هو منشور فى الجريدة المذكورة ، يشير إلى أنه على المرأة فى جميع أنحاء العالم أن تواجه اختباراً صعباً من أجل أطفالها خلال السنوات القليلة القادمة ..

فمن خلال الأبحاث التى يضمها التقرير والتى أجريت فى عدد من دول العالم للتعرف على أسباب انحراف الأحداث برزت حقيقة

غريبة لم يكن لها وجود واضح خلال السنوات العشر الماضية قبل سنة ١٩٧٠ .. فلقد ارتفعت نسبة المنحرفين من أبناء الأسر التى يعمل فيها الأب والأم معا .. فبرغم المستوى المادى المرتفع الذى يهيئه عمل الأبوين وتبرزه دار الحضانة أو رعاية مربية غير الأم ..

فلقد أثبتت الأبحاث أن الطفل يفتقد شيئاً هاماً للغاية لا يعوضه عنه أى شيء آخر وهو اهتمام الأم الطبيعى به وحنانها الخالص ..

والاحصائيات التى يتضمنها التقرير تشير أولاً إلى أرقام مثيرة للقلق .. فمن خلال ، الأبحاث التى تمت فى ثلاث وعشرين دولة على المستوى الاجتماعى والأسرى للأحداث المنحرفين تبين أن ١٨ ٪ من هؤلاء الأحداث من أسر يعمل فيها الأب والأم معا معظم الوقت وتبدو الأسرة مستقرة عائلياً فى الظاهر لانعدام المشاكل المادية لديها لكن الانفجار يحدث فى سن معينة بالنسبة للأبن حين يحتاج إلى الرعاية الأسرية الخالصة فلا يجدها .. ومن ثم يحدث الانحراف . والحقيقة التى يشير إليها التقرير رغم قسوتها ورغم أنها تضع المرأة والمجتمع كله فى مفترق طرق بالغة الصعوبة إلا أن هذا لا يمنع من الإقرار بصحتها وأنها واقعة فعلاً ، كما تقول الجريدة فحسب ما تسلسله الأبحاث يشعر الطفل فى سنواته الأولى المبكرة باحتياج غريزى للأم ، واهتمامها يمكن أن يشبع بسهولة فى الفترات التى توجد فيها فى البيت لكنه ابتداء من سن السادسة يبدأ احتياجه الحقيقى والواضح للأم حيث تطرأ على ذهنه عشرات الأسئلة عن الحياةالتى بدأ عقله الصغير يتفتح عليها ، وتبدو هذه الحاجة لديه ملحة للغاية ، وفى حاجة إلى إشباع مستمر يبحث عنه لدى الأم فيجدها غائبة عنه

معظم أوقات النهار ...ومنشغلة عنه بعض الشيء فى ممارسة أعمالها المنزلية بعد العودة إلى المنزل .. وهكذا تبقى أسئلته بغير جواب ، وابتداء من سن العاشرة يبدأ الأبن فى محاولة تحقيق ذاته التى لم تتكون بطريقة طبيعية بعد .. فتظهر لديه ملامح العنف الذى يعتبره فى هذه السن المتنفس الوحيد لصراعاته النفسية المتداخلة .. وهكذا تصل السلسلة إلى نهايتها وتبدأ موجة جديدة من موجات عنف الأحداث فى العالم » .. انتهى ما نشرته الجريدة وقد وصلت إلى المجلة بعض الرسائل بعد حديث للدكتورة سهير القلماوى « وكتابات للطبيبة الدعية نوال السعداوى تتسأل عن صحة ادعاء أن المرأة مظلومة بعملها العادى الرتيب الممل ، فى نفس الوقت الذى ينعم فيه الرجل بكل المزايا والحقوق وكل ما يريده ، وينطلق فى كل اتجاه يصبو إليه ، وإن البلاد التى لا تساهم فيها المرأة بقسط كبير فى كل الأعمال ينعكس ذلك على الدخل القومى لبلدها ، إلى آخر هذه الترهات والدعاوى المزوقة ، الزائفة . وليس يخفى مقصد هاتين وأمثالهما من طلاب المتعة المادية » وإن انتهت هذه المتعة بالضياع والهلاك العام ..

فالاختيار هنا بين حق الأجيال فى التكوين السليم ، وحق المجتمع فى التقدم الصحيح » وحق الفطرة الإنسانية المتميزة عن سائر الكائنات بالعقل والإدراك وحقها فى الاقتناع والاستقرار والرضى والسعادة ، وبين رغبة أنانية حيوانية غريزية تسيطر على طلاب المتعة المادية .

وحسب الإسلام عظمة أنه راعى فى هذا الشأن حاجة الوليد الإنسانى وحاجة المجتمع وحاجة البيت » وطبيعة الفطرة» الإنسانية،

ولم ينس فى هذا الشأن حقوق الوظيفة المادية والمعنوية كما سبق بيانه وبقى أن نؤكد كيفية مراعاة الإسلام لكل هذه الشئون .

طبيعة الوليد الإنسانى :

يتميز الطفل الإنسانى عن سائر صغار الكائنات الحية الأخرى بأمرين :

١ ــ طول مدة الطفولة التى تمتد الى سن البلوغ .
٢ ــ حاجات الطفولة الإنسانية إلى توافق الفطرة البشرية .

ففى حين لا يحتاج صغير الحيوان إلا إلى معاونة ورعاية ضئيلتين كيفية وزمنا إذ تنهى الحيوانات واجباتها الوالدية عندما تضع بيضها فى مكان أمين أو بعدما تحرس أعشاشها زمناً يسيراً حتى يفقس البيض أو بعد الفقس بقليل أو بعد فترة رضاع الحيوانات الثديية التى لا تزيد مهما طالت عن السنة أو السنتين .

نجد طفولة صغير الإنسان تمتد إلى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة بل تمتد السنوات التى يحتاج فيها إلى معاونة ورعاية من والديه فتصل إلى العشرين أو بعدها أو قبلها بقليل .

الأمر الذى يؤكد حاجة الطفل الإنسانى إلى أبوين يضبطان نوازعه وميوله الغريزية ويعدلان مسارها .

وتحديد الأبوين بالذات لأن نمو الصفات النفسية والسلوكية الخاصة بالإنسان يرجع إلى خصائص نفسية ترتبط بالعقل الإنسانى وقدراته .

هذه الخصائص المرتبطة بالعقل لا تستغنى لتكاملها ونموها عن اتصاف الأبوين فضلاً عن غيرهما بصفات خاصة تظهر فى السلوك والمعاملة .

أهم هذه الصفات ظهور ونمو وتكامل خصائص الأنوثة فى جانب المرأة وظهور ونمو وتكامل خصائص الرجولة فى جانب الذكر لتتحقق مقومات الإنسانية الحقيقية المتعاونة فى كل من الذكر والأنثى .

فكلما كانت كل درجة من درجات تقدم الطفل فى النمو الجسدى تتميز بالنمو المماثل فى اكتساب الصفات السلوكية والنفسية الملائمة لكل نوع منهما كان النمو طبيعياً ومتكاملاً .

والعكس صحيح : إذا لم يتوافق النمو الجسدى مع النمو المماثل فى اكتساب الصفات السلوكية والنفسية لنوع الذكر على حدة ونوع الأنثى على حدة ، كان النمو شاذاً وفاسداً وترتب عليه القلق والتعقيد .. لأن الطفل الإنسانى لا يستوعب من ثقافة الوالدين بصورة أكثر تأثيراً وفاعلية إلا المظهر السلوكى والنشاط العملى .. لأن التلقين لا يكفى ، تكون أهمية سلوك الأم كأنثى تساوى وجودها إلى جانب الطفل وقضاء حاجاته ، بل سلوك الأم كأنثى أهم .

وكذلك تكون أهمية سلوك الأب كرجل تساوى صلاح الطفل وتكامله .

فالتذوق الاجتماعى لطعم الأسرة بل لطعم النظام الاجتماعى

المستقيم لا يتم إلا إذا اتضح أمام الطفل وجود الأم كأنثى فكرة وسلوكاً واتضح تعاون الجنسين وحاجة كل منهما للآخر وتلبية كل منهما لحاجة شريكه فى ود ورحمة وتعاون من خلال تميز الأنثى عن الذكر فى الشكل وفى ممارسة الحياة العملية ولذلك نهى ﷺ أن يتشبه الرجال بالنساء أو يتشبه النساء بالرجال فقال : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

وواضح تماماً أن هذه الصورة الاجتماعية المستقيمة لا يمكن أن تتم على الوجه الأكمل إلا بتقسيم العمل بين الأبوين ، لأن لهذا التقسيم آثاره الاجتماعية الخطيرة حيث يستوعب منه الطفل كل المعانى والأخلاق الاجتماعية التى لا يمكن أن تتوافر أو توجد عند اختفاء أو خفاء هذا التقسيم ، فكما يصل الطفل إلى إشباع معظم حاجاته الأساسية كضرورة لبقائه ونموه ، كذلك يجب أن يصل إلى إشباع ذوقه الاجتماعى عن طريق الأبوين معا بسلوكهما كنوعين تتضح فى كل نوع منهما خصائصه ، ومهما هذه الخصائص التى تضمن حب الوليد للأسرة كمظهر للاستقرار والسكن والانسجام والتعاون ، ينعكس على حياته ، كصورة لا بديل لها لتحقيق الإخلاص للنظام الاجتماعى العام ، أما إذا تبدلت هذه الصورة ، وظهرت المرأة كالرجل فى العمل وفى حرية التواجد أو عدمه فى البيت فى أى وقت ، استحال على الطفل أن يدرك طعم الأسرة ، أو يتذوق طعم النظام الاجتماعى ،واستحال بالتالى أن يخلص لنظام الأسرة وللنظام الاجتماعى العام ، لأنه لم يتذوق لشىء منهما طعماً متميزاً عن غيره من طعوم الحياة وأشكالها المتنافرة وصدق الله العظيم إذ جعل من نعمه وآلائه فى

الحياة الإنسانية ، وجود الأسرة على هذا النحو الخاص المتميز الذى يحقق الاستقرار النفسى الضرورى لكل أعضاء الأسرة فقال : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ .

والسكن لا يتحقق إلا بتقسيم العمل بين الرجل والمرأة رعاية لحاجة الوليد الإنسانى — كما ذكرنا — ورعاية لحاجة بقية أعضاء الأسرة ، ورعاية لحاجة المجتمع ورعاية لضرورات التقدم كما سنبين .

حاجة النظام الاجتماعى

كما راعى الإسلام حاجة الوليد الإنسانى إلى ضرورة وضوح الفرق أمامه بين الرجل والمرأة طوال مدة حضانته وتربيته ، كشرط لتذوق طعم الأسرة وإدراك قيمتها والشعور بأهميتها ، وبالتالى لتذوق طعم النظام الاجتماعى العام والإخلاص له ولأن هذا لا يمكن أن يتم إلا بتقسيم العمل بين النوعين وتخصص نوع الأنثى فى إدارة البيت وحضانة الوليد وتربيته ، ونوع الذكر فى ممارسة مشاغل الحياة العامة خارج البيت .. راعى أيضاً حاجات النظام الاجتماعى العام وضرورات التطور والتقدم والارتقاء .. فالإنسان بنوعيه يحمل من خصائص الإنسانية ما يتميز به على سائر المخلوقات وهو القلب الذى يعقل — أو العقل فى اصطلاح العصر — الذى يساهم فى عملية التقدم والارتقاء بل هو الذى يؤسس ويقعد ويخطط ويشرف على التنفيذ ولا يقوم الكيان المادى بأى عمل نافع إلا من خلال نشاط العقل وحركته ، بل لا يقوم الكيان المادى بأى جهد مخلص إلا إذا

استمد من العقل طاقة الإخلاص ووقود الجهد .

الإنسان بنوعيه يحمل من خصائص الإنسانية ما يميزه على سائر المخلوقات وهو :

القلب الذى يعقل

وعليه يكون كل حفظ للعقل ، وكل نمو لمواهبه وطاقاته ، وكل استغلال واستفادة به وبمواهبه وبطاقاته ، خدمة ومساهمة فى التقدم والارتقاء والتطور الحضارى للمجتمع ، فى عرف جميع النظم والمذاهب وهذا يعنى أن كل تشريع أو سلوك يخدم العقل يعد فى عرف المنطق والعلم والإدراك هو التشريع الصالح وهو السلوك الصحيح .

ويعنى أيضاً أن كل تشريع أو سلوك يبدد العقل أو يرهقه أو يكبله أو يعوق حركته ونشاطه هو التشريع السيىء وهو السلوك الفاسد .

للإسلام موقفه :

من منطق المحافظة على العقل الفردى والاجتماعى وكذلك من منطلق العمل على تنمية هذا العقل وتنشيطه باعتباره أداة التقدم والعامل الأساسى للارتقاء والتطور .

من هذا المنطق وجه الإسلام عمله فى اتجاهين :

اتجاه يعالج عملية حفظ وتنمية العقل خلال الكيان البشرى ذاته.

واتجاه يعالج عملية حفظ العقل وتنميته خارج هذا الكيان ـــ

والاتجاهان ينطلقان من إدراك أن الإنسان يحمل إلى جانب العقل غرائز وشهوات حيوانية تحاول دائبة السيطرة على هذا العقل ثم العمل على تبديده وإهلاكه وتضييع طاقاته ومواهبه وإمكاناته ، فضلاً عن كونها عوائق تحول بين الشخص وبين التفكير المستقيم . ومن شأن هذه الغرائز أن تجذب الأنثى إلى الرجل والرجل نحو الأنثى يستثيرها ويهيجها أمور عديدة مختلفة لا يشترك فى ملكيتها جميعاً كل الرجال ولا كل النساء ، وبمعنى أكثر وضوحاً ، يستثير غرائز الانجذاب هذه أسباب مادية كالجمال أو المال أو خفة الدم ، أو اللياقة ، أو التوازن العضلى ، أو الصوت أو القوة ، أو المعاملة ، أو المجاملة .. إلخ وكلما وجد المثير انفعل الشخص فانشغل فكره بمصدر الاثارة ، وتعطل ولو لبعض الوقت عن التفكير المنتج إلى التفكير فيما يرضى غرائزه وشهواته ، ومن هنا يبدأ التبدد خصوصاً أن ما يملكه واحد يفقده الآخر ، وما يوجد من المثيرات لابد أن يثير .

ولهذا حرص الإسلام على الحيلولة دون هذا التبدد فركز الاتجاه الأول على :

١ — وصل الفرد بالله ليستمد منه القدرة على مواجهة شيطان الهوى والغرائز فى السر وبعيداً عن عين القانون وحراسه من البشر .

فيربى الإنسان على طاعة الله والإخلاص له وخشيته فى السر والعلن حتى ينعكس هذا على فكره وسلوكه خصوصاً فى الأوقات التى لا يطلع فيها أحد من البشر على فكر الشخص وسلوكه ، وهنا

فقط نجد الرجل والمرأة كليهما يحافظان على عقليهما ويحولان دون تبديدهما فى بحار الرذيلة والشهوات والغرائز .

٢ — اقناع العقل بطريق التوجيه والإرشاد وتوضيح الصحيح من الفاسد ، حتى يتم الإيمان القادر على مواجهة الغرائز ، وعلى تحويل حوافزها إلى خير الفرد والمجتمع فى السر وفى العلن .

أما الاتجاه الثانى : فيركز على البيئة المحيطة ، ويجعل منها عوناً على ممارسة الفضيلة ونبذ الرذيلة وذلك على النحو التالى :

أولاً : بإبعاد الرجال عن النساء بقدر الإمكان ، حتى لا يوجد المثير ذاته فتوجد الإثارة ، ويترتب على ذلك ما لا تحمد عقباه ولهذا ومثله يقول الله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ فالإبتداء بخطوة ، كتوفير عناصر الإثارة يترتب عليها غالباً الانجذاب الجنسى لدى الطرفين أو احدهما على الأقل .

ولهذا أيضاً يقول ﷺ : « ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » .

ولنفس السبب غضب ﷺ حين وجد ابن أم مكتوم الأعمى فى بيته ، ولما قالت له عائشة إنه أعمى يارسول الله قال لهن ، وهل أنتن عمياوات .

وهكذا يحرص الإسلام الحرص كله على حفظ العقل وعدم تبديده بأى وجه من وجوه التبديد حين يبعد المثير للغرائز من البداية .

ثانياً : يرضى الإسلام من خلال البيئة مطالب التجاذب الغريزى

الطبيعى بطريقة الزواج الشرعى ، وهو أعظم وأرق الوسائل للجمع بين الحسنيين ، بين حفظ العقل وتنمية نشاطه وبين إرضاء وترويض شهوة الجنس ونزوعاتها الشرهة .. فييسر هذا الطريق ويمهده بحيث يمكن لأى شخص أن يتمه بأقل وأيسر الوسائل المادية والمعنوية .

ثم يحرم ما عدا هذه الوسيلة تحريماً باتاً ، حتى يصان البيت وتأمن الأسرة ، ولا يتبدد العقل فى الجرى وراء أية وسائل أخرى .

ثالثاً : ينشط الإسلام حركة المجتمع العامة ، ويدعو الأفراد إلى البحث والتحرى والنشاط المنتج الجاد المجوّد ، فيأمر المسلمين بالاستمرار فى الإعداد والأستعداد واتخاذ القوة : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾ ...

كما ينهاهم عن الضعة والاستخذاء والاستسلام للقهر المادى أو الإكراه المعنوى ، أو الضغط الإعلانى أو الدعائى ، خصوصاً إذا صدر الادعاء أو الإعلان مخالفاً لقواعد الله ولقوانينه ولشرعه ، فإذا كان قانون الله الذى لا يتخلف يقرر قائلاً : ﴿ **وما من دابة فى الأرض ، إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فى كل كتاب مبين** ﴾ .. فلا يصح للمسلم أن يدعى أن موارد الأرض لا تكفى لاعداد السكان فى أى يوم من الأيام ، لأن الذى خلق هو الذى قرر ، وهو الذى أودع كونه حلا لكل المشاكل المادية .

الزواج الشرعى وسيلة الإسلام لارضاء مطالب التجاذب الغريزى :

ولهذا جاء قوله تعالى : ﴿ **قالوا كنا مستضعفين فى الأرض** ،

قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ... ﴾ .

جاء هذا الجزاء الذى يسوى بين المستضعفين والكفار ليؤكد أن أى نوع من القهر المادى أو الإكراه المعنوى إذا قبله المسلم فقد وقع فى دائرة هذا الجزاء ..

د. ولأن الاستضعاف يشمل من يسلم بضرورة اشتغال المرأة فى العمل خارج البيت وسط الرجال من غير المحارم ، بدعوى الفقر أو إدعاء مساهمة المرأة فى الإنتاج ، فإن جزاء هذا الضعف من الناس هو جزاء المستضعفين فى الأرض من غير عذر شرعى حتى يبذلوا كل ما فى وسعهم فلا يستطيعون بعد بذلهم حيلة ولا يهتدون سبيلا ..

وهكذا تتمكن الأمة حين تسير على هذا النهج من تخطى كل العقبات والمشاكل ، ومن الخروج من مأزق التذلل لغير المسلمين نتيجة الحاجة إلى السلاح والعدة ، إذ لو تمكن العقل المسلم من العمل وخلى سبيله من العقبات والعوائق فى ذات الشخص وفى بيئته ، لصنع كل شىء ، وتمكن من كل شىء .

حقائق ونتائج :

إن مراعاة الإسلام لحاجات النظام الاجتماعى ولضرورات التطور والتقدم قد تمت وتوافرت بطريقة علمية ، لا بطريقة التزييف والجدل

العاطفى الممقوت .

والمسلمون مخيرون بين أمرين ، أن يطلقوا لغرائزهم الحيوانية العنان » ويسمون الانحلال تقدما ، والرذيلة ترقيا ، وحينئذ فعليهم أن ينتظروا من العذاب فى الدنيا والآخرة ، فى الدنيا بالتخلف الدائم ، والتبعية الذليلة لأعدائهم وفى الآخرة بنار جهنم وساءت مصيرا .

ولأمر ما وهو أمر عظيم ولاشك كان حديث رسول الله ﷺ : عن عبد الله بن عمر قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سرج كأشباه الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات ، على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات .. لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم » رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ..

والمتأمل فى هذا الحديث يجده قد صور الواقع المعاصر بأجلى صورة وبأوضح بيان ، ثم يرتب على قبول هذه الصورة والرضا بها كواقع فضلاً عن إدعاء تقدمية مثل هذا المجتمع .. يرتب على هذا نتيجة تاريخية خطيرة .

بقوله : لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم .

فأين نجد نساء المسلمين اليوم ، وإلى أى مدى تتشدق الصحافة المسمومة بوجود بناتنا يخدمن فى صالونات وفنادق وصالات

الغرب ، بدعوى التقدمية والتطور .

وأغرب ما يواجهك فى هذه التصرفات المزرية أن تسمى خدمة أعداء الإسلام وأعداء المسلمين ، أن تسمى هذه الخدمة تقدماً وإرتقاءً، فى الوقت الذى تصرخ فيه أجهزة الإعلام والثقافة مطالبة بتخلى المرأة عن خدمة بيتها وزوجها ، والخروج لخدمة المجتمع ، وأعلى أنواع هذه الخدمة أن تسافر لتخدم مجتمعا فى بلاد الكفر والضلال ، وعلى أى نحو تكون هذه الخدمة ؟ فواحسرتاه ألف مرة على حال أتعس ما فيه ، أن تصبح طاعة الله رجعية وتخلفا ، وطاعة أعداء البشرية تقدماً وترقيا ..

وأن يغلب منطق الزيف والتضليل والاكراه منطق العلم والعقل والحرية .

لكننا والحمد لله مطمئنون لأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ .

﴿ **ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون** ﴾ .

تعليق وتفصيل :

أن يكون إنسان جاهلاً بالشيء فله عذره ، لكن أن يكون عالما بالحقيقة ثم يتجاهلها لشيء فى نفسه ، أو هوى يغلب عليه ، فهذا هو الذى سيلقى أسوأ مصير ، إن كان فرداً فعقباه النار وبئس المصير ، وإن كان مجتمعا ، عجل الله له العقاب فى الدنيا ، فضل سعيه ، وتبدد جهده مهما ظن أنه يحسن صنعا ﴿ **قل هل أنبئكم بالأخسرين**

أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

شريعة الله هى وحدها القادرة على تحقيق الانضباط فى المجتمع :

والمجتمع الإسلامى قد عرف الكثير من الحقائق التى سطرها القرآن وأكدتها السنة فيما يتصل بمكانة المرأة وحقيقة وضعها ، ثم راح يتجاهل هذه الحقائق منساقاً وراء تيارات واردة وأهواء شاردة .

من هذه الحقائق مراعاة الإسلام لطبيعة المكلفين كبشر يحملون غرائز الحيوانات التى تجذب الأنثى نحو الذكر وتجتذب الذكر نحو الأنثى » ويكذب كل من يدعى غير ذلك ، فما وجدت امرأة فى مجتمع الرجال إلا تحرك فى نفسها ذلك الحيوان مهما كانت درجة يقينها بشر هذا التحرك وخطره ، وكذلك شأن الرجل مع النساء مهما كانت درجة يقينه وإيمانه بشر مخاطر هذه الحركة ..

العقل والغريزة :

كذلك من شأن هذه الطبيعة البشرية فى جانبها الغرزى الحيوانى ، أن العقل ينصاع مكرها فى معظم الأحوال — وراء ما تمليه هذه الغريزة برغباتها الحيوانية ولا يوجد من غرائز الإنسان ولا من عواطفه ولا من معتقداته ومبادئه فى الأعم الأغلب — والإسلام يشرع للجميع لا للاستثناءات ولا للشواذ — لا يوجد ما يستطيع أن يقود تفكير وسلوك البشر تجاه الواجب وأن يمنع تفكير وسلوك البشر من الانقياد وراء خطوات الشهوة وخطوات أو نوازع الغريزة ، لا يوجد ذلك فى طبيعة الخلقة البشرية ، بل لابد من نظام من لتحقيقها .

الأنوثة والمجتمع :

ما دام ذلك كذلك فإن اختفاء الأنوثة من المجتمع على أى شكل يكون هذا الاختفاء سواء « باشتغال المرأة بأعمال الرجال حتى يخشن جسدها وتقوى عضلاتها ، وينمو الشعر ويشتد فى عموم جسمها » ويغلظ صوتها أو باحتكاكها بالرجال فى كل وقت ومكان ومن غير ضابط ولا نظام ، لتصبح شيئاً عادياً يتوارثه جيل بعد الآخر حتى يجىء جيل لا يجد للأنوثة معناها ولا قيمتها ، ولا مغزاها أو بحرمان الرجال منها حرماناً كاملاً عندئذ سيجد شيئاً يتحرك مع سن المراهقة يطلب الأرضاء على أى نحو من الأنحاء ، ومع ذلك لا يجد فى النساء ما يشده لأن المرأة فقدت أنوثتها بالعمل ، أو ضيعتها بالاحتكاك والابتذال ، أو امتنع الوصول إليها بالمرة ، فاستغنى الرجال عنها بالرجال ، وضاعت بريطانيا كمجتمع سيطر على بحار الدنيا فى يوم من الأيام لتصبح دولة من الدرجة الثانية وغدا ستكون دولة من الدرجة الثالثة ثم دولة من الدرجة الرابعة وإن غدا لناظره لقريب .

وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة حين رصد تجربة « لوط » عليه السلام مع قومه . فبين القرآن أن اللواط قد تمكن من قوم لوط بعد فقدان المرأة لقيمتها كمطلب يرضى غريزة الرجال ويحقق لأصحابها الاستقرار وذلك فى بيان يحمله حوار لوط معهم فيقول ﴿ **هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد** ﴾ .. فرد عليه القوم بما يعبر عما وصلوا إليه بشأن المرأة وكونها لم تعد المرضى الحيوى قائلين : ﴿ **لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ فالصورة تعبر عن

مدى ضياع الأنوثة بشكل يظهره عرض لوط ، ويؤكده الرفض القاطع من قومه : ﴿ **هؤلاء بناتي .. لقد علمت .. ما لنا في بناتك من حق .. وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ .

الأمر إذن صار معلوماً وواضحاً ومتفشياً مع وجود المرأة ومع سهولة نوالها فلا علة للرفض غير وجود مرض اجتماعي استوجب هلاك القرية خصوصاً وقد رفض أصحابها أن يعالجوا مرضهم ، وأن يعودوا إلى الحل الطبيعي .. إلى المرأة .

ولا يمكن لعاقل أن يتصور فشو هذا المرض مع وجود المرأة ، وسهولة التزوج بها أو نوالها إلا أن تكون المرأة قد فقدت جاذبيتها كأنثى .

فقدان الأنوثة :

ولا تفقد المرأة جاذبيتها إلا إذا أطلق احتكاكها بالرجال ، وابتذلت أو ترجلت واشتغلت بأعمال الرجال .. أو حبس النوعان عن بعضهما حبساً مطلقاً كما في مجتمعات السجون الحديثة في بعض البلاد ..

كذلك من شأن هذه الطبيعة أنه إذا اشتغلت المرأة بأعمال الرجال ، فخشن جسمها ، وقويت عضلاتها أن تندر وتقل أعداد النساء المتصفات بالأنوثة الحقيقية فيزيد الطلب عليهن من الرجال ، فتوضع الأنثى الحقيقية موضعاً علوياً متميزاً يصل إلى مرتبة التقديس ، في الوقت الذي تضيع فيه القيمة الحقيقية للمرأة عموماً ،

كما نرى فى إقبال رجال القرية على الراقصة أو (الغازية) كما كان يجرى التعبير عنها ، وكما نرى فى وضع المسميات بالفنانات من مغنيات وراقصات ، بل يؤكد التاريخ أن تقديس الرجال للنساء المومسات قد وقع عند بداية انحدار اليونانيين من قمة حضارتهم ، وذلك بعد تحرير المرأة بطريقة تشبه دعوة هذا العصر » فانحلت الأسرة » وانتصر الجنس والدعارة على حسابها ، وقد حفظ التاريخ أيضاً صورة لأحد بيوت الدعارة فى مدينة (بومبى) بعد انهيار الحضارة الرومانية تدل على دور الجنس المطلق وكيفية ممارسته فى تقويض هذه الحضارة ، وتؤكد أن هذا كان نتاج اشتراك المرأة فى أعمال الرجال وخروجها إلى حد التبذل والاستهتار فهل نعى هذه الدروس » وندرك مرامى شريعة الإسلام وأهدافها ؟

تســاؤلات وردود :

يثير حديثنا السابق بعض التساؤلات منها ما هو مترتب على اقتناع بنظام الإسلام وتشريعاته بعد ما عرضنا لحكمة ذلك النظام ، وتلك التشريعات فيما يتصل بمكانة المرأة ووضعها الصحيح .

ومنها ماهو مترتب على ما تسلل إلى بلادنا من تحلل أيدته بعض الأقلام المنتسبة إلى الإسلام وأشاعته أجهزة التأثير والإعلام من خلال القصة والتمثيلية والحكاية والمقال والخبر وكل وسائل الاتصال الجماهيرى حتى أصبح التسليم بنظام الإسلام وتشريعاته على النحو الذى أوضحنا حكمته وفوائده العظيمة ، أصبح التسليم بذلك يمثل فى نظرهم هدماً للمدنية ، ورجعة إلى عصور التخلف والانهيار ...

ويكفى للرد على كل تساؤلات المتحللين التى هى فى الحقيقة اتهامات مزيفة أن يسترجعوا كل مرحلة لكل أمة أو شعب أوشكت أو أوشك على الانهيار .. فسيجدون من بين أسباب هذا الانهيار عنصر التحلل والجرى خلف المتعة والشهوات ، وأعتقد أنه لن يجد أى متعنت دليلاً واحداً على أن الوضع الذى يوصف بالمدنية — وهو خروج المرأة واحتكاكها بالرجل ، ومشاركتها إياه فى كل أو معظم أو بعض الأعمال — لم يكن مقدمة للتحلل والجرى خلف المتعة المحرمة والشهوات ، حتى فى العصور التى حرمت فيها المرأة من كل الحقوق الإنسانية ، كانت الغانية ، وشبيهها وراء تحلل النظام ، ومن هنا يبدأ الانهيار .

فلا حاجة بنا إذن إلى الإنسياح وراء تساؤلات أو اتهامات مزيفة يصدرها ويغذيها الذين نسوا أن الحياة الدنيا الفانية وراءها حياة أخرى هى الباقية يصورها الذين قال الله فيهم وفى أمثالهم **﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ، أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ .**

ويغذيها الذين قال الله جل جلاله فيهم : **﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ، وإذا قيل لهم**

لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ .

غاية المدنية :

والمدنية والعلم والتقدم فى تمكين الطاقات الفردية من العمل المخلص الجاد وتحقيق التعاون بينها بتهيئة بيئة الفضيلة وتقوى الله ، وتكريم وتقدير وقبول الصالح من الأعمال ، والصالحين من العاملين مما لا يتم بغير الالتزام بشرع الله ، وأول ما يجب الالتزام به هو إبعاد عوامل الإثارة وتهييج الغرائز وتشتيت الفكر فى مسائل الحب الجسدى والنزوات العابرة ، وإبعاد ذلك لا يتم باستباحة احتكـاك الرجال بالنساء ، والاشتراك فى الأعمال والمهن ، وخروج النساء إلى الشوارع والنوادى والاجتماعات ، إنما يتم بشرع الله بإبعاد الرجال عن النساء ، وتهيئة البيئة لممارسة كل نوع لما كلف به من الأعمال مخلصاً لله وحصر الرغبة الغريزية الطبيعية فى حيز الإرضاء المنظم بما أحل الله ، هذه تذكرة ﴿ **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾ .

أما التساؤلات المترتبة على الاقتناع بنظام الإسلام وتشريعاته بعد ما عرضنا لحكمة تشريع الله من تخصص نوع الرجال للأعمال خارج البيت ونوع النساء لحضانة وتربية الأجيال داخل البيت ، **فهى** الحقيقة بالإجابة وهذا ما عزمنا عليه وبالله التوفيق والسداد .

التســاؤلات :

١ ــ ألم تخرج أسماء زوجة الزبير بن العوام ، تحمل النوى على رأسها وتسقى فرس الزبير ولم يستنكر ذلك عليها رسول الله ﷺ فتقول كنت أخدم الزبير خدمة البيت ، وكان له فرس وكنت أسوسه

فلم يكن من الخدمة شيء أشد على من سياسة الفرس ، كنت أحتش له ، وادق النوى لناضحه ، واعلفه واستقى الماء ، وكنت اخرز غربة الدلو ، وأعجن وانقل النوى على رأسي من أرض له على ثلثي فرسخ (صحيح مسلم) .

٢ — أمْ تضطلع المرأة المسلمة ببعض شئون الإسعاف ، وتمريض المحاربين والدفاع عن النفس أثناء الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فلم تخل غزوة من غزواته من نساء يقمن بذلك ، فعن أم عطية الأنصارية قالت : « غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحيلهم فأصنع لهم الطعام ، واداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى » . (صحيح مسلم) .

وعن أنس أيضاً قال : « كان ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ويداوين الجرحى » (صحيح مسلم) ؛ وفي الخبر أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين ، فلما سألها ﷺ عنه قال : « اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه » (صحيح مسلم) .

٣ — ثم ألم نر في الواقع بعض البلاد الإسلامية كإندونيسيا ، وبعض القرى كما في مصر ، قد خرجت فيها المرأة وشاركت الرجل في كل جوانب حياته العملية دون أن يترتب على ذلك أى ضرر لا من الناحية الفردية ولا من الناحية الاجتماعية .

٤ — ثم هذه الفتاوى التي خرجت من الأزهر ورجالات الأزهر تبيح اضطلاع المرأة بكل الشئون حتى القضاء .

الإجابة على تلك التساؤلات :

أولاً : لم تخرج إباحة الرسول ﷺ وأصحابه عن استثناءات لا تلغى القاعدة العامة ، ولا تبيح لأحد القول بتعميم هذه الاستثناءات ذلك لأن الإسلام أباح الخمر وأكل الميتة عند الاضطرار واستثناء من قاعدة التحريم العامة ، كما أباح إظهار الكفر لمن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ونزل القرآن بذلك ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ فإذا كانت قاعدة إلغاء الملكية الفردية هى أساس النظام الاشتراكى فإن استثناء ملكية بعض الأشياء أو بعض الأشخاص لا يهدم القاعدة ولا يبيح تحويل الاستثناء إلى قاعدة ، وإلا تحول النظام إلى ضده . وكذلك كانت قاعدة حرية الملكية الفردية هى أساس النظام الرأسمالى فإن استثناء بعض الأشياء التى تملكها الدولة لا يهدم القاعدة ولا يبيح تحول الاستثناء إلى قاعدة وإلا تحول النظام إلى ضده . وقواعد الإسلام لا تلغيها الاستثناءات ولا تبيح تحويل الاستثناء إلى قاعدة ، وإلا إنقلب الإسلام إلى ضده .

ثانياً : لما وجد هذا الاستثناء إنما أبيح لظروف خاصة تمنع أصحاب الاستثناء من الانضواء فى ظل القاعدة العامة ، ومع ذلك فقد تم هذا الاستثناء فى ظروف لا توجد الآن مطلقا ، فقد كانت الحشمة والوقار والمحافظة على قواعد الإسلام فى كل تصرفات النساء والرجال كما كان الدافع إلى الخروج هو حاجة الأشخاص ، أو حاجة النظام والمجتمع بعكس ما يتم الآن .

ثالثاً : لم تخرج الاستثناءات بالمرأة عن طبيعتها الأنثوية ، ولم

تكلف إلا بما يكلف به النساء ، حتى فى ميدان الجهاد لم نجد اختلاط النساء بالرجال ولم نجد المرأة تكلف بغير ما تخصصت فيه ، بل بما يتفق مع أنوثتها من سقى وتضميد جراح وإعداد طعام .. إلخ حتى أن أسماء بنت أبى بكر وزوجة الزبير عبرت عما قامت به من أعمال بقولها : كنت أخدم الزبير خدمة البيت ، فكان خروجها فى تمام الحشمة والوقار ومن أجل سقى وعلف الفرس الموجود بالبيت .

وقد عدت ذلك من أشد الأمور التى حملت مسئوليتها .

رابعاً : إذا كانت المرأة قد خرجت وشاركت فى بعض الدول فى جميع الأعمال ، وفى صورة ظاهرها الإصلاح ، فإن باطنها مضمون الهلاك والضياع .

ذلك لأن المرأة مع غير رجلها لا يمكن أن تصد ما خلق فيها من تجاذب ، ولا تستطيع أن تمنع ما يوجد لدى الرجل من هذا التجاذب ، وإذا بدا هذا فى الظاهر ففى الباطن غير ذلك ، كما جاء فى الحديث « ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لابد أن تتحول المرأة التى تشتغل بأعمال الرجال إلى امرأة ذات عضلات ، خشنة الصوت والجسم والمعاملة فى أغلب الحالات ، ويترتب على ذلك حتماً ضياع الأنوثة أو ندرتها ، وبالتالى ينجر المجتمع إلى النتائج المترتبة على هذا الضياع أو الندرة من تكريم للمرأة التى تملك الأنوثة النادرة ، أو ممارسة للواط مع الرجال الذين يملكون رقة النساء ونعومة الأنثى .

أما الذى يتم فى ريف مصر فإنه فى أغلب الأمور لا يخرج عن

معاونة المرأة لزوجها فى أوقات ومناسبات قليلة لا تحرم المرأة من أنوثتها ، فضلاً عن أن عملها يتم مع زوجها وفى حمايته ورعايته .

إن الذى قنن قوانين الاجتماع هذه ، فجعل البيت للمرأة ، وخارجه للرجل هو الله العالم الخبير المحيط بما يصلح النظام الاجتماعى .

أما الذين يدعوننا إلى خوض غمار حياة الانحلال والمخالطة ، فأقوام من البشر لا يستطيعون إدارة بيوتهم بنجاح،فكيف ينجحون فى التقنين للدول والشعوب ولنظام اجتماعى لا يملكون بشأنه إحاطة ولا خبرة إلا بقدر ما يملكون من رؤية بصرية وسماع أذن .

وإذا كنا قد سلمنا لعلماء المادة من البشر فيما أخرجوه من قوانين ، فلأنهم يملكون قدرة وإحاطة وخبرة بمادة البحث وعناصره .

فمن الذى يملك القدرة والإحاطة والخبرة بمادة النظام الاجتماعى وعناصره ، من الذى يعلم طبائع الناس ونزعاتهم ، وطاقاتهم وقدراتهم .. لا أحد غير الله سبحانه وتعالى ...

إن كل ما يرد من بشر متصلا بنفس الإنسان ونظام الاجتماع البشرى لا يخرج عن كونه توهما وخيالاً وتخميناً وجهلاً .

وإن كل ما يرد من الله إنما هو العلم بكل ما تعنيه كلمة (علم) من مدلولات فهل يفيق الغافلون .

جسد المرأة وعقلها :

الاهتمام بجسد المرأة مظهر من مظاهر حرية هذا العصر ، وهو

اهتمام ينقصه العقل والإتزان ، كما ينقصه حسن النية .

لأن جسد المرأة هو ممثل الجانب الاستهلاكى ، وهو الدافع للتجار وأصحاب المصالح المادية فى استخدام هذا الجانب لترويج بضائعهم وتحقيق مكاسبهم ، لهذا تجد جسد المرأة معروضاً فى كل الاعلانات والدعايات ، جنباً إلى جنب مع كل إعلان تجارى كما نلاحظ أن اهتمامات النساء تكاد تتوقف عند إظهار مفاتنهن وكشف مواطن الإغراء والزينة فى أجسادهن .

ولقد لعبت الحرية الغربية المزيفة دوراً هاماً فى هذا المجال لأن تجارة الأعراض كانت إحدى وسائل الكسب والاتجار كما أنها تعد باتجاهها الاستهلاكى وسيلة هامة للترويج لعدد من السلع التجارية كالمخدّرات وأدوات التجميل والملابس الحديثة .

فلم تكن صدفة أن يختار المشرفون على الرياضة فى العالم كله كشف أكبر جزء من جسد المرأة فى كل لعبات الرياضة ، حتى أصبح العرى قرين الرياضات النسائية .

ولم تكن صدفة أن تتفنن بيوت الأزياء العالمية فى إبراز مفاتن أجساد النساء من خلال ملابسهن ، لتصبح عارية وهى تلبس ملابسها .

ولم تكن صدفة أن يتضمن فن السينما والمسرح هذا الاتجاه ، فيبالغ فى قيمة جسد المرأة حتى يجعله كل شيء يرجوه الرجل فى المرأة ويطمع فيه ، فإذا رقصت فالتركيز على تحريك الأجزاء المثيرة للرجل ، وإذا تكلمت خضعت فى كلامها لتثير شهوة الرجل وإذا

تحركت قاست حركتها باهتمام غريزة الرجل ، وهكذا، والغريب العجيب أن يتم هذا باسم الحرية مع أنه لا يخرج عن كونه أسلوباً جديداً وحديثاً للدعارة بدلاً من الأسلوب القديم .

فقد كانت بيوت الدعارة تعرض نموذجاً من بضاعتها أمام بيت الدعارة ممثلا فى امرأة مومس تتخذ وضعاً معيناً من مواضع الإغراء ، كأن تكشف عن جزءمن جسمها ، أو تكشف عن رغبتها العارمة بأصوات وتأوهات تجتذب الرجال .

تطور هذا الوضع ليصبح أسلوباً متحركاً يجده الرجل وراءه وأمامه وعن يمينه وعن شماله بسبب التطور الإعلانى والدعائى فى هذا العصر .

والنتيجة زيادة مضاعفة فى استهلاك الطاقات وتبديدها لحساب الأطباء وتجار الأدوية إلى جانب تجار الأعراض والمخدرات وبيوت الأزياء وأدوات التجميل ومعظمها جهات مشبوهة ، تعمل على تحقيق مكاسبها المادية من خلال خسارة الشعوب والأمم لأبسط القواعد الإنسانية للحياة البشرية اللائقة بذوى العقول فمن من العقلاء ينكر أن الفرق بين الإنسان والبهائم هو فرق فى السلوك وميزة فى النظام .

ومن من العقلاء ينكر أن هذا الفرق لا يتحقق إلا بتغليب حقوق العقل على مطالب الجسد .

أين عقل المرأة :

إن للذى يفتش عن عقل المرأة فى جميع الصور المعاصرة لما

يسمى بحقوق المرأة ، يجده خطة لتيسير وتسهيل الممارسات البهيمية .

فالعلم الذى جعله الإسلام فريضة لتنمية عقل المرأة وتجويد وظائفها الإنسانية ، تحول إلى وسيلة لابتزاز الرجال وفرض السلوك الغرزى والخروج إلى مواطن الشبهات .

وإذا سألت إمرأة متعلمة لماذا تعلمت ؟ تقول لأتخذ الشهادة سلاحاً يمدنى بأسباب الحرية (تعنى الخروج من طاعة الرجل) .

والسبب وسائل التوجيه التى أغرت شهوات النساء ، وصوّرت لهن الحرية بصورة مغلوطة ، فظنت المرأة أنها حرية الشهوات والأهواء والغرائز .

ولو كانت المرأة منصفة لنفسها وعقلها ، لقالت إننى أتعلم لأرقى سلوكى بترقية عقلى ، والسلوك الراق هو السلوك الذى يبتعد عن سلوك البهائم والحيوانات ، ويحرر الإنسان من سيطرة الأهواء والشهوات .

فالبهائم بهائم لأنها تسير وفق املاءات غرائزها وشهواتها والإنسان إنسان لأنه يملك جانباً آخر هو العقل ، والتعليم ييسر للعقل قدرته على توجيه الشهوات والتحكم فيها وضبطها لصالح الفرد والأسرة والمجتمع .

أى أن العقل يحرر الإنسان من عبودية الشهوات وسيطرتها والتعليم يوفر للعقل وسائل التحرر من الشهوات وتوجيهها لخدمة الإنسان .

ولو كانت أمام العقل فرصة للحوار لقرر أن عمل المرأة خارج بيتها ، لا يحررها من الرجل ، لأن رئيسها فى العمل رجل ولو كانت امرأة لكان أمرها مطاعا ، فما الفرق بين أن تطيع المرأة أوامر زوجها أو أن تطيع أوامر رئيسها فى العمل رجلاً أو امرأةءإن عقل المرأة قد غرق فى خضم الدعوة إلى التحرر الزائف ، فأصبح موظفاً لخدمة الصراع المفتعل بين الرجل والمرأة .

وهو صراع أريد به صرف جنود المعركة الواحدة من أجل الهدف الواحد ، إلى جنود متعاركين من أجل أوهام وتخيلات لا تنتهى إلا بخسارة محققة للطرفين ، وكسب للعدو المتربص بالمرأة والرجل معا ، هو الشيطان وجنوده من الشهوات والأهواء والرذائل . وتجار الأعراض والمخدرات .

الإسلام ينتصر لعقل المرأة :

ومن يفتش عن المرأة فى المجتمع المسلم المنفذ لتعاليم السماء ، يجدها عقلاً واعياً مفكراً يحقق لنفسه المكانة اللائقة بعقل له هذه الصفات فالمرأة تقاسم الرجل مسئولية الانتصار فى معركة الحياة كما تقاسمه سعادة ومتعة هذا الانتصار .

والجدير بالذكر أن القيادة والجندية لا يتميزان إلا من حيث الوظيفة المنوطة بكل منهما ، فالقيادة وظيفتها التوجيه وإصدار التعليمات ، والجندية وظيفتها الطاعة وتنفيذ التعليمات .

ومن يفاضل بينهما ، إنما يكون متأثراً بسنة الغرب التى تفاضل

بين الناس فتجعلهم عبيداً وسادة .

لكن الإسلام لا يفاضل بين الناس أو مواقع المسئولية إلا بالإخلاص وبذل الجهد وزيادة الإنجاز والإنتاج .

لذا فإننا لانستطيع أن نفاضل بين القيادة والجندية إلا بإخلاص كل موقع منهما لوظيفته ومسئوليته ، كما لا نستطيع أن نفاضل بين عمل المرأة فى البيت ، وعمل الرجل خارج البيت ، إلا بقدر الإخلاص الذى يبذله كل منهما لموقعه .

وأظننا لسنا فى حاجة إلى تقديم الأدلة والبراهين على هذه الحقيقة لأن التاريخ الإسلامى يحفظ لنا سيرة أمهات المؤمنين ونساء مسلمات خلدهن فى سجله ، لأنهن أخلصن لوظيفتهن بدافع العقل وبخدمته .

كما يحفظ لنا التاريخ قصة خالد بن الوليد الذى كان جندياً مخلصاً ثم قائداً مخلصاً ، ثم جندياً مخلصاً تحت إمرة أحد جنوده الذى أصبح قائداً وهو أبو عبيدة بن الجراح .

لقد بقى خالد فى قمة التقدير المادى والمعنوى بإخلاصه لموقع مسئوليته قائدا أو جنديا .

فالإخلاص هو محط التقدير ، ومواقع العمل والمسئولية مجرد وظائف تناط بأصحابها لخدمة أهداف المجتمع ، فمن أخلص لإحداها حظى بالتقدير والإكرام والمكانة ومن لم يخلص يحظ بالمهانة والاحتقار حتى يتوب ويعود .

هذه هى النظرة الإسلامية العاقلة الحكيمة ومن خلالها يتم تكريم

عقل المرأة كلما أخلصت له بتجويد عملها فى بيتها وكذلك يتم تكريم عمل الرجل كلما أخلص له بالتجويد والتجديد لا تفاضل بينهما إلا بقدر الإخلاص والجهد المبذول .

ولقد منح الرسول أوسمة التقدير لنساء مسلمات أجدن وظيفتهن فصرن أم فلان وأم فلان وأم فلان .. تقديراً لصناعتهن وما أجلها من صناعة — إنها صناعة الإنسان بأجياله المتعاقبة .

ثم إنها أكبر مساهمة للانتصار فى معركة الحياة ، والتمتع بأسبابه فأين عقل المرأة الآن من هذه الوظيفة الخطيرة .

تجارب المرأة :

وإذا استطاعت المرأة أن تسجل خبراتها وتجاربها فى مجال الحضانة وتربية الأجيال ، وما يتعلق بها أو يرتبط بخيوطها ، إذا استطاعت أن تسجل ذلك فى كتابات مسطورة وجب نشرها وإذاعتها وتعليم الجديد فيها للناس ، وإذا أمكن قيامها بتقديم ذلك فى محاضرات وندوات علمية صح للمجتمع المسلم أن يتبناها ويأخذ بالجديد الايجابى فيها خاصة ما يتصل منها بالجانب الاقتصادى المنزلى الذى يمثل عبئاً اجتماعياً يحتاج إلى الترشيد وحسن التنظيم والوعى ولعل أحداً يقول كما قال غيره « إن العمل بالمنزل لا يمثل وظيفة ، وإذا مثلها كانت من أدنى الوظائف شأناً ، لكن العلم يتدخل وسنده فى ذلك التعليم والعقل .

فوظائف البيت شغلت العالم المتمدن كله ، وأصبح إنشاء دور الحضانة ووظيفة المربية وعاملات وعمال نظافة البيوت أصبح هذا كله

بديلاً لخروج المرأة إلى أعمال الرجال ، ومع التقدم العلمى الهائل فإن البحث العلمى يؤكد خطورة التربية الصناعية فى دور الحضانة وعلى يد المربيات .

فإذا أضفنا إلى ذلك قدرة المرأة المتعلمة على إعفاء المجتمع من خسارة محققة بزيادة سنوات التعليم الابتدائى نتيجة خروجها ، فإن وجودها فى البيت سيوفر هذه السنوات وما يترتب عليها من فصول ومنشآت وموظفين وموظفات .

فأين العقل الذى يفضل هذه البدائل وما ترتب عليها من خسائر ، لتخرج المرأة إلى وظائف الرجال .

وأما الدنو بوظيفة المرأة فى بيتها فسببه النظم الاجتماعية المعاصرة ، وهى نظم فاسدة وفاشلة .

أما نظام الإسلام فيكرم هذه الوظيفة ويقدرها مادياً ومعنوياً مادياً بضمان أجر المرأة عليها باعتبارها موظفة تخدم المجتمع وتعفيه من خسائر كثيرة جداً وباعتبار أهمية وظيفتها للمجتمع ومعنوياً بتكريم المتفوقين من الأبناء والبنات فى شخصها بمنحها هى شهادة التكريم وتقديمها باسمها .

حماية المرأة وضمان أمنها وتكريم إنسانيتها :

يهيب الإسلام بكل مسلم أن يقدر طبائع ومدارك وخصائص وكفايات زوجه بألا يستهين بها أو يستغلها بالإيذاء والتضييق « بل على العكس يجب عليه التلطف فى معاملتها وإجمال التصرف معها

وحمايتها من كل سوء أو أذى يتهددها فى نفسها أو بيتها أو خصائصها ، وبالطريقة التى لا تنزل من قدره كرجل ، ولا تضيع حقوقها كأنثى ، وذلك بأن يكون ذلك الذى تستطيع أن تسكن المرأة إلى بأسه وقوته وصراعه فى الحياة ووداعته وخلقه الكريم الرحيم فى البيت .

فالمسلم العاقل هو الذى يدرك كيف يصل إلى إرضاء كل هذه النواحى فى حياة زوجه ، فينشد ذلك تعبداً لله واستجابة لقوله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾ .. ولقول رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً خيارهم لنسائهم »[1] ولكى يحقق هذه الغاية لابد أن يفهم مشاعرها ويتحسس مواطن رضاها ويتجنب أسباب سخطها ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية ، وإذا كنت على غضبى ، قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : أما إذا كنت راضية فإنك تقولين ، لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت ، ولا رب إبراهيم . قالت قلت : أجل يارسول الله ما أهجر إلا اسمك »[2] ، وهو ما أراد ﷺ أن ينبه المسلمين إلى مثله ببيان طبائع النساء فى قوله ﷺ : « واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع » وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل

---

(١) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٣٥ طبعة التحرير .

(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٣٢ أخرجه الترمذى وابن حبان .

أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً »[١] ، وفى قوله : « المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بهااستمتعت بها وفيها عوج »[٢] وفى قوله أيضاً « ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن قالت : (إحداهن) وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل والدين « فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالى لا تصلى وتفطر فى رمضان ، فهذا نقصان الدين »[٣] فقد اشتهرت المرأة بما ينتابها من نسيان ، للتقلبات التى تعرض لها أثناء الحمل والولادة ، والحيض والنفاس إلى غير ذلك مما أيده العلم ، وصدقه الواقع ، وكله يدل على اختلاف طباع الأنثى وتميزها عن طباع الرجل ، لا عن عيب فيها ، بل لأن خلقها وما أعدت له يتوجب ذلك ، فهى بجانب نقص هذه الأمور تتميز بزيادة الحنان والصبر على الحمل والرضاع ، والمكث فى البيت ، وتربية الأولاد ، وحضانتهم ، فى مقابل نقص هذه الأمور عند الرجل .

ولهذا يجب أن نقدر قدر المرأة ، وأن نسوس حياتنا على أساس من فهم طبيعتها وأن نتحسس مواضع مسرتها وهنائها ، فى حدود قواعد الدين والخلق ، ولنا فى رسول الله ﷺ « أسوة حسنة » ، فقد كان يلاعب عائشة رضى الله عنها : قالت : رضى الله عنها « رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا

(١ ، ٢) صحيح البخارى جـ ٧ كتاب النكاح .
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٥ دار التحرير والمسند جـ ٧ ص ٢١٣ .

جارية فاقدروا قدر الجارية العربية الحديثة السن »[١] ، وتقول : جاء حبش يزفنون فى يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى ﷺ فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التى أنصرف عن المنظر عنهم وفى رواية لم تذكر المسجد »[٢] ، وتقول أيضاً : « إنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ قال : وكانت تأتنى صواحبى ، فكن سمعن من رسول الله ﷺ قالت : فكان رسول الله يسر بهن إلى »[٣] بهذا الأسلوب الحكيم وعلى منواله يجب أن يعالج المسلم سياسة بيته من غير إفراط ولا تفريط ، فالمرأة بجانب ما تحتاج من الرجل إلى العطف واللين والمعاملة الرحيمة ،تتطلب سياستها حزم الرجل وشدة حرصه لإلزامها بقواعد الشريعة وأوامر الدين وهو ما يفسره قول عائشة أيضاً « إن النبى ﷺ دخل عليها وعندها رجل فكأنه تغير وجهه كأنه كره ذلك ، فقالت إنه أخى : فقال ﷺ : انظرن من أخوانكن من الرضاعة فإنما الرضاعة من المجاعة »[٤] والقسط فى المعاملة هو أقوم الأمور وأفضل الأساليب لمسرة الحياة وسعادتها ، وهو ما عنى قول رسول الله ﷺ « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضى آخر »[٥] .

(١ ، ٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ٦٠٨ ــ ٦٠٩ ومعنى فاقدروا قدر الجارية .. إلخ فاقدروا رغبتها فى اللهو التفرج وقسوة بمقياس أمرها فى حداثتها وحرصها ومعنى يزفنون كما جاء تصحيح البخارى جـ ٧ يلعبون .

(٣) البخارى جـ ٧ كتاب النكاح .

(٤) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٣٥ دار التحرير .

(٥) مسلم جـ ٣ ص ١٩٠١ .

يقول عمر بن الخطاب « والله إن كنا فى الجاهلية ما تعد للنساء أمراً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم ، فبينا أنا فى أمر أأتمره إذ قالت لى امرأتى لو صنعت كذا وكذا ، فقلت لها ومالك أنت ولما هنا ؟ وما تكلفك فى أمر أريده ؟ فقالت : عجباً ياابن الخطاب ، ما تريد أن تراجع أنت وإن إبنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ قال عمر فآخذ ردائى ، ثم أخرج حتى أدخل على حفصة « فقلت لها : يابنية » إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصة والله إنا لنراجعه ، فقلت تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ، يابنية لا يغرنك هذه التى قد أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ ثم خرجت حتى أدخل على أم سلمة لقرابتى منها فكلمتها « فقالت : عجباً لك ياابن الخطاب ، قد دخلت فى كل شىء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله وأزواجه ؟ قال : فأخذتنى أخذاً كسرتنى عن بعض ما كنت أجد » الحديث[1] .

ولا ينبغى للمسلم أن يقصر فى أداء الواجب ، أياً كانت الظروف التى تحيط به حتى ولو بلغ ما بينهما حد الكراهية ، قال سبحانه ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ فالشنآن عاطفة . والعدل واجب وضرورة الواجب لا تزحزحها العواطف » ولا يصح للعواطف أن تغلب على الإنسان ، ولأن الخلاف بين الزوجين محتمل ، بل هو مؤكد تأكد اختلاف المدارك والأذواق ، ولهذا يجب على الزوجين قبوله ، وتوقعه » وتوقيه

(١) مسلم ج ٤ ص ١٩٠ طبعة دار التحرير وللحديث بقية .

بكل الطرق ، ومعالجته إن وقع بالحسنى والمعروف لا باستغلال كل منهما لما يملكه ولا يستطيعه الآخر ، بحكم تكوينه وطبيعته ، فمن هنا كان نهى رسول الله ﷺ الرجل أن يهضم حقوق الزوجية على أى وجه من الوجوه ، كنهيه عبد الله بن عمرو بن العاص لما أخبر أنه يصوم النهار ويقوم الليل ألا يفعل قائلاً : له صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً .. وإن لزوجك عليك حقاً[1] .. ونهيه ﷺ الرجل أن يجلد امرأته قائلاً : لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها فى آخر اليوم »[2] وكنهيه عن الإيلاء — أى الحلف ألا يباشر امرأته ، فإذا حلف الرجل بذلك أكثر من أربعة أشهر يؤمر بالتكفير فإن أبى لجأت إلى طلب الطلاق لتضررها .. قال تعالى : ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم** . **وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم** ﴾ (البقرة ٢٢٦ — ٢٢٧) . ونهيه الرجل والمرأة أيضاً عن الإفضاء بأسرار الزوجية قائلاً : « ألا لا يفضين رجل إلى رجل ولا امرأة إلى امرأة إلا إلى ولد أو والد »[3] .

فهل يوجد نظام أرق من هذا النظام فى عدله وقسطه .

حقوق الرجل الخاصة به تجاه زوجه :

للرجل على المرأة حقوق مثلما لها على الرجل من حقوق

(١) البخارى كتاب النكاح ج ٧ ص ورواه مسلم بنحوه ج ٣ طبعة دار التحرير .
(٢) البخارى كتاب النكاح ج ٧ .
(٣) سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٥٠ وأخرجه الترمذى والنسائى .

وهى — أى الحقوق المقررة — فى الإسلام تؤهل المرأة للقيام بمسئولياتها الأساسية فى البيت والمجتمع وتعدها بالثقافة السلوكية والفكرية التى تنمى خصائص إنسانيتها وتتيح للرجل كرجل أن يقوم على بيته وأهله .

١ — حق القوامة :

فأعطى الرجل — فى الإسلام — حق القوامة باعتباره الأقدر والأوفق للقيام بمسئولياتها بحكم طبيعته ، وباعتبارها التكليف الذى يتفق مع طبيعة الرجل وتكوينه العضلى والحيوى ، فالرجل — بلا ريب — أقدر على الكفاح ، ومواجهة مصاعب الحياة الطبيعية والاجتماعية ، ولو كانت المرأة مثله فى القدرة العقلية والجسدية — كما يدعى — فإنها تنصرف عن الكفاح قسراً فى فترات الحمل والرضاعة .

والقوامة مسئولية لا تنقطع ولا تتوقف ، يحتاج إليها تدبير المعاش ، وتوفير الحماية والأمن للبيت ، ثم إنها تتطلب مظهراً خاصاً للقيام بتبعات تدبير المعاش ووسائل الحماية والأمن ، كما تتطلب مشاعر نفسية خاصة تنبه الإحساس بمسئوليات القوامة وتبعاتها ، مما لا يمكن منحه إلا للرجولة بكل عناصرها ، ولأن المرأة محل حمل الجنين للرجل ، يجب عليه حمايتها من التعرض لاعتداء الآخرين ومن التبذل . ولا يتم ذلك إلا بالصيانة وإعطائها فى المجتمع حق الحماية بالرجل فى بيته وتحت رعايته .

ولهذا جاء نص القرآن ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل

الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ (النساء ٣٤) والرجل هو الذكر البالغ ، ولا يكون قادراً على القوامة إلا إذا كان بالغاً راشداً .

من هنا عبر بكلمة (الرجال) ولم يعبر بكلمة (الذكور) فالرجولة خصائص لا يملكها كل ذكر بل لابد أن يكون رجلاً قادراً على التفكير فى الكدح ورياسة البيت والقيام بمسئوليات الحماية الكاملة ، سواء كانت بتوفير الحاجات الأساسية من طعام وكساء ومأوى أو بتوفير أسباب الأمن والطمأنينة من استعداد للدفاع عن البيت ضد كل ما يتهدده من اعتداءات وما يلابس ذلك من ضرورات تنطبع على تكوين الرجل واستعداداته .

من هنا كان النظام الصالح هو الذى يؤهل الذكر وحده للقوامة ، فيطبع نفسه بخصائصها ومظهره بكل تبعاتها ، حتى يستقيم حال المجتمع وحال الأسرة وهو ما نبه إليه نص قوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾ فجعل الله للقوامة سبباً هو :

أ ــ كونه أفضل من المرأة فى تكوينه العضلى وتكوينه الخلقى ، فعضلاته خلقت لتعمل وتكدح ، ولا كذلك عضلات الأنثى ، لأنها خلقت لتعطيها هنداماً يجذب الرجل إليها ، فيثوب إلى السكن والراحة ، فيجدهما فى البيت معها وخلقه الله يعطى المرأة ما تحمله هى فى أحشائها له ، لا أن يحمل هو لها ، ومعنى ذلك أن المرأة معرضة إذا ما تعرضت لغير زوجها أن يعطيها ما تحمله ولا كذلك الرجل ، فكان من حقه أن يحافظ عليها ليضمن أن ما حملته هو منه وأنه ليس

دخيلاً عليه ، وكان عليها أن تعطيه هذا الحق .

ب — ومن هنا تفرع السبب الثانى ، وهو إذا كانت المرأة هى التى تحمل للرجل أولاده فمن حقه رعايتها والحفاظ عليها والقوامة عليها ، وجب عليه إذاً أن يكفيها كل ما يعرضها للآخرين ، أو يعرضها للضعف عن حمل الجنين أو الاشتغال عنه بغيره من عمل على الصعيد الخارجى إذا وجب عليه أن ينفق عليها ، ويكفيها كل ما يلزم لها ولأولاده منها .

وبهذين كان له عليها — درجة — المشار إليها فى قوله تعالى :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ﴾ (البقرة ٢٢٨) .

فالقوامة إذن مسئولية وتكاليف ، وإلزام بالعمل والعرق والكفاح والنزول إلى ساحة الشقاء ، تناط بالرجل ويلزم بذلك له ما يستحق من فضل ، فضل به من الله ، وعن استعداد يجب أن يماز به للنهوض بأعباء الحياة الاجتماعية ومطالب الأسرة عيالة وقيادة وتوجيهاً ، فما الذين فضلوا بغنى عن هذا الفضل ، ولا المفضولين بغنى عن التسليم بحاجة البيت إلى مسئول وقائد فضل بكفاءات هذه المسئولية وهذه القيادة ، فإن كل شركة وكل جمعية تحتاج إلى مسئول له صلاحيات الرئاسة والقيادة والتوجيه وليست المرأة هذا المسئول والقائد والموجه بحكم عجزها الطبيعى عن الاستمرار فى تحمل هذه المسئولية ، ولا الحياة الاجتماعية بغنى عن هذا التقسيم الطبيعى لتحقيق التعاون بين الجميع ، ولإنجاح العلاقات الزوجية والوصول بها إلى بر الأمان والاستقرار .

ولا يعنى ذلك أن القوامة منصب مغنم وترفع للرجل وسبب خسران ودونية للمرأة ، بل يعنى أن القوامة وظيفة اجتماعية أعد لتوليها الرجل باستعدادات طبيعية ، وأعدت لقبولها المرأة بخصائص فطرية ، فهى منطق الفطرة المستقيمة منذ بدء الخليقة كما يصور ذلك قول الله تعالى لادم وهو يغريه بالبقاء فى الجنة وينبهه لوسوسة الشيطان ﴿ فلايخرجنكما (أى الشيطان بوسوسته وطاعتكم له) من الجنة ﴾ جامعاً بين آدام وحواء فى الإخراج من الجنة ﴿ فتشقى ﴾ أنت وحدك ياآدم فأفرده بالكدح والشقاء ، إشارة إلى مسئوليات القوامة وتبعاتها ، فالرجل راع متخصص فى القوامة بما فضله الله به من استعداد لتحمل مسئولياتها والقيام بتكاليفها ، والمرأة راعية متخصصة فى الأمومة وإعداد البيت بما فضلها الله به من استعداد لتحمل هذه المسئولية وما يرتبط بها من تبعات ، « فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » لكن الفضل الأعظم فضل التفوق فى الثواب من الله ، إذ يمنحه لكل منهما على مقدار إخلاصه لدوره ، واتقاء الله فى مراعاته ، قال ابن حبيب : فى الواضحة حكم النبى ﷺ بين على ابن أبى طالب رضى الله عنه وبين زوجته فاطمة بالخدمة الباطنة خدمة البيت » وحكم على على كرّم الله وجهه بالخدمة الظاهرة ، وفى الصحيحين أن فاطمة رضى الله عنها أتت النبى ﷺ : « تشكو إليه ما تلقى فى يديها من الرحا وتسأله خادماً فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فلما جاء ﷺ أخبرته » قال على : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا » فذهبنا نقوم فقال : مكانكما » فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على بطنى فقال ألا أدلكما على ما هو خير

لكما مما سألتكما، إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم »[1] وعليه يلزم الإسلام أعضاء الأسرة بالطاعة فى غير معصية للقوامة، حتى تسير الحياة فى نظام مستقيم « وتصان الأسرة من الفوضى والانحراف، ويستقر أمرها ويسعد حالها، وهو ما يؤكده قول رسول الله ﷺ « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها »[2].

ذلك لأن المرأة لا تستطيع أن تواجه الحياة الاجتماعية بمفردها من غير حماية من الرجل لأنها شهوة ولأنها محل حمل — كما سبق — والرجل هو الذى يحميها من الاعتداء والوقوع فى مهاوى الزلل « فله من الحق عليها أنه لو كان سجود لغير الله لكان عليها أن تسجد لزوجها، أليس كذلك ؟ فالأمر يتعلق بضرورة الانتصار فى معركة الحياة « فهى الجهاد الأكبر، والمرأة جندى هذه المعركة « والرجل قائدها، والفلاح لهما، وثمرة النصر من حقهما، إن أخذا لهذه المعركة كل ما يستطيعان من قوة، والقوة أساسها أو عمادها طاعة الجندى، وحسن إدراك وإدارة وتوجيه القائد « وإخلاص الاثنين وتعاونهما « فجدارة القائد بالطاعة ونزول الجندى على أوامره لا يصح أن تصدر من موقع التسلط والسيطرة وإلا فقد الإخلاص، بل لابد أن تصدر من موقع الوعى بالمصلحة والإيمان بالهدف المشترك، ليتحقق النصر وتجنى ثماره، خير للرجل وللمرأة وللأولاد

(١) زاد المعاد ج ٤ ص ٤٥ .

(٢) داود ج ٣ ص ٣٤٤ ورواه الترمذى وقال حسن صحيح .

وللمجتمع ، ولعل هذا ما تضمنه حديث رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فجاءته من قالت: بأبى أنت وأمى يارسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبالهك، وإنا معشر النساء محصورات ، مقصورات « قواعد فى بيوتكم وحاملات أولادكم ، وأنتم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة،وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، أفنشارككم فى الأجر والثواب ؟ فقال رسول الله ﷺ وسلم لأصحابه ، هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها ؟ فقالوا ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا ، فقال ﷺ : « إفهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله »[1] ، وهل يقتضى حق القوامة للرجل من المرأة من ذلك الذى يترتب عليه جعل البيت بيئة صالحة لتخريج الأبناء الصالحين ، ومدرسة لإنماء المعانى الإنسانية « والمحافظة على مقوماتها ، وقاعدة لمد المجتمع بالمجاهدين الأبرار مدى الحياة ، ولهذا جعل الإسلام مظاهر احتلال الزوجة لمكانها الصحيح « والتزامها بتبعاته يعدل الجمعة والجماعة وعيادة المرضى وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، والجهاد فى سبيل الله « فما أجزل الثواب بل ما أعظم ما يترتب على احتلال هذا الحق مكانه اللائق « إنه خير الدنيا والآخرة ، ألم يقل ﷺ : « أربع من أعطيهن

(١) البزار وفيه رشد بن كريب وهو ضعيف (مجمع الزوائد جـ ٤ ص ٣٠٥) .

فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابراً ، وزوجة لا تبغيه حوباً فى نفسها وماله »[1] وهل للقوامة مظاهر غير صبر الرجل وشكر قلبه لنعم الله وذكر لسانه له ، فيبقى حارساً لسلوكه وتصرفاته كلها ، وطاعة المرأة وحفظها له فى نفسها وماله .

وهذا تعددت الأحاديث التى تدعو المرأة إلى الطاعة والنزول على أوامر الرجل لتأخذ القوامة مكانها اللائق فيترتب عليها صلاح حال الزوجين والأولاد ، وتحذرها من التمرد والعصيان واتباع نزوات غرائزها ، وطباعها المريضة .

فإذا دعاها إلى فراشها لبت دعوته قال ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأت، فبات غضبان لعنتها عليها الملائكة حتى تصبح »[2] ، وإذا رغبت فى شيء لبت رغبته ما دام فى غير معصية « فلا يحل لها أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره »[3] ، وعن أبى عمران أن عمة له أتت النبى ﷺ فقال لها : « أذات زوج أنت ؟ قالت نعم . قال : فأين أنت منه ؟ قالت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه ، قال : فكيف أنت له ؟ فإنه جنتك

(١) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٢٤ رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وإسناد أحدهما جيد .

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٠٦٠ رواه البخارى أيضا .

(٣) البخارى جـ ٧ كتاب النكاح .

ونارك »[1] ، وعن أنس عن النبى ﷺ قال : « ألا أخبركم بخير نسائكم فى الجنة ؟ قلنا بلى يارسول الله ، قال : ودود ولود ، إذا غضبت أو أسيء إليها قالت هذه يدى فى يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى »[2] ، وعن عائشة قالت : سألت رسول الله ﷺ « أى الناس أعظم حقاً على المرأة ، قال : زوجها » الحديث[3] ، وعن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ « لا تؤذ امرأة زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل أوشك أن يفارقك إلينا »[4] ، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى تجمع على شيء واحد هو ضرورة نزول المرأة على طاعة زوجها ورضاه ، بتطويع ميولها وأهوائها حتى تصبح مع هوى ورغبات زوجها ففى ذلك رضا الله وجنته جزاء طاعتها وقيامها بحق الرجل فى القوامة ، والجدير بالذكر أن تشديد الإسلام فى هذاالأمر لا يعنى إلا شدة مهام الزوجية وعظم أمر الطاعة ، تماماً كشدة مهام الجندى فى مقابل تشديد القيادة لتحقيق النصر فى المعركة ، أما ثمرة النصر فهى حق كل مخلص رجلاً أو امرأة جندياً أو قائداً ، ومن هنا كان حث الإسلام أيضاً للرجل أن يقوم بمسئولياتها من نفقة وحماية وغيرهما .

كما ذكرنا فى حقوق المرأة تجاه الرجل ، وبحسبنا هنا أن نتأمل

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٣٩ رواه الطبرانى .
(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٣٥ رواه أحمد والنسائى بإسنادين جيدين والحاكم وقال صحيح الاسناد .
(٣) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٣٦ رواه البزار والحاكم والدار قطنى فى الأفراد .
(٤) ابن ماجه جـ ١ ص ٦٤٩ .

هذا الحديث ، عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سرج كأشباه الرجال ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات ، لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم » رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم(١) فقد حذر الحديث من التفريط فى الواجب أو التفريط فى الحق وحذر الرسول من التهاون فى مسئوليات القوامة مشيراً إلى الآثار التى سوف تترتب على هذا التهاون . ومنها خروج المرأة كاسية عارية .. إلخ والنتيجة « لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهن نساؤكم ياله من نبأ عظيم ، أنتم عنه معرضون ولو وعاه المسلمون لانبعثت فيهم نخوة الرجولةالحقة » وقاموا يطاردون هذا الوباء الملعون الذى يكاد يأتى على المسلمين ويسمونه الحرية والمساواة !!

فالمسلم مطالب اليوموغداًأن يتمسك بهذا المبدأ من أجل نفسه وزوجه ومجتمعه قبل أن يفلت الزمام ، ويضيع كل شىء فى بحار الزيف وطوفان الرجعية الحديثة كما قال ﷺ « هلكت الرجال حين أطاعت النساء »(٢)وهل فى ذلك شك حين تصدر التوجيهات من الجنود إلى القادة ، إنّ الأمر يصبح هلاكاً لا مفر منه ، ﴿ إنها تذكرة فمن شاء ذكره ﴾ .

---

(١) انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٧٧ وما بعدها .

(٢) الجامع الصغير طبعة دار القلم سنة ١٩٦٦ جـ ١ ص ٣٣٠ رواه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك عن أبى بكرة .

ومن هنا فإنه إذا خرج الرجل عن دوره بأن استعمل حقه فى القوامة على المرأة فيما لا يحل له وليس من حقه فعليها ألا تطيعه فى ذلك ، بل عليها أن تقاومه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، فإن استغل طاعتها وقوامته عليها فى أن يعرضها للدعارة مثلا أو لاختلائها بالأجانب منها ، أو أخذ مالها لينفقه على أهوائه وشهواته ، أو نحو ذلك ، فلا تطيعه فى ذلك ، بل عليها أن تعارضه وتحاربه وعلى المجتمع أن يقيها من ظلمه وتعنته ، وهذا هو داؤنا الوبيل فى مجتمعنا المتحضر

التعدد بشرط العدل (لصالح المرأة) :

عرف نظام التعدد فى كثير من المجتمعات والأمم فى كل العصور ، ولا يزال معروفاً فى أكثر بقاع العالم حتى فى البلاد الغربية التى تعتنق الدين المسيحى الذى يمنع التعدد (فى اعتقادهم) بينما عرف نظام وحدة الزوجية فى أكثر الشعوب تأخراً وبدائية وهى الشعوب التى تعيش على الصيد أو على جمع الثمار التى تجود بها الطبيعة عفواً ، وفى الشعوب التى لم تتزحزح كبيراً عن بدائيتها ، وهى الشعوب الحديثة العهد بالزراعة ، على حين أن نظام تعدد الزوجات لم يعد فى صورة واضحة إلا فى الشعوب التى قطعت مرحلة كبيرة فى الحضارة ، وهى الشعوب التى تجاوزت مرحلة الصيد البدائى إلى مرحلة استئناس الأنعام وتربيتها ورعيها ، واستغلالها ، والشعوب التى تجاوزت مرحلة جمع الثمار والزراعة البدائية والزراعة التقنية، ويرى كثير من علماء الاجتماع ومؤرخى الحضارات أن نظام التعدد سيتسع

نطاقه حتماً ، ويكثر عدد الشعوب الآخذه به كلما تقدمت المدنية واتسع نطاق الحضارة .

فمن المقرر فى بحوث (الديموجرافيا) أو علم احصاء السكان، أن ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضاً للوفاة من الإناث فى أثناء الولادة وفى الطفولة الأولى ، كما تدل على ذلك الاحصاءات الخاصة بوفيات الأطفال فى جميع الشعوب الإنسانية ، وإنه يترتب على ذلك أن عدد من يبقى على قيد الحياة فى نهاية الطفولة الأولى من الذكور يقل فى كثير من الشعوب عن عدد من يبقى على قيد الحياة إلى نهاية هذه المرحلة من الإناث ، وإن هذه الظاهرة متحققة حتى فى الشعوب التى يزيدفيها عدد المواليد الذكور على عدد المواليد الإناث .. وذلك نتيجة لما ذكرناه من أن ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضاً للوفاة من الإناث فى أثناء الولادة وفى الطفولة الأولى ، وقد أصبحت هذه الحقيقة من أوليات الحقائق الاجتماعية بل لقد عرفها الناس بالملاحظة منذ عصور سحيقة فى القدم من قبل أن يكشفها العلماء بالإحصاء ، وسجلت فى الأمثلة العامية المتداولة فى جميع الشعوب[1] .

فإذا أضفنا إلى ذلك تعرض الرجال لكثير من المهالك والأخطار لتحملهم أعباء الحرب وشئون الكدح فى الحياة ، تأكدنا أن الذكور أكثر تعرضاً للقلة من الإناث وبحسبنا أن نعلم أن عدد من قتل من الشباب فى الحرب العالمية الثانية قد بلغ زهاء عشرين مليوناً ، على

(١) على عبد الواحد مشكلات المجتمع المصرى ص ٦١ — ٦٣ .

حين أن من قتل من النساء لأمور متصلة بالعمليات الحربية لا يتجاوز بضعة آلاف ، وإذا صح هذا بالنسبة للأمم المتحضرة ، فهو أصح فى غيرها إذ تقل وسائل الوقاية والعلاج وتكثر فرص الحروب ، وتشتد حدةالكدح ، ويزيد عدد الضحايا من الرجال،هذا فضلاً عن أن إقدام الرجال على الزواج يرتبط بعدة قيود ، لا ترتبط المرأة بمثلها كالقدرة البدنية والاجتماعية والاقتصادية ، ولذلك يظل كثير من الرجال عاجزاً عن الزواج إلى وقت طويل ، على حين أن كل بنت تكون صالحة للزواج قادرة عليه بمجرد وصولها سن البلوغ .

والنتيجة الطبيعية اللازمة لهذه الظاهرة أن نسبة القادرين على الزواج من الذكور تقل كثيراً عن نسبة الصالحات للزواج من الإناث ، وتتحقق هذه النتيجة فى جميع الشعوب ومختلف الظروف(١) .

وبجانب هذا كله توجد أسباب خاصة تجعل التعدد ضرورة اجتماعية لازمة مثل كون الرجل لا تعفه امرأة واحدة أو لا تستطيع امرأته الموجودة اعفافه لهرمها أو اعتزاله لها فى الطمث والنفاس ، ومثل عقم الزوجة ، أو إصابتها ببعض الأمراض المعدية أو غيرها ففى هذه الأحوال وأحوال أخرى كثيرة مثلها يكون زواج الرجل بثانية ضرورة لازمة لضمان انتظام الحياة فى المجتمع والأسرة ، فلا يخفى ما يترتب على وحدة الزوجة فى مثل ذلك من بقاء نسبة كبيرة من النساء عوانس بدون زواج ، وانتشار البغاء ، والفسق والأمراض ، وتسرب

(١) المرجع السابق ببعض تصرف .

عوامل الضعف والانحلال إلى الأسرة والمجتمع .

هذا ما حدث بالفعل فى كثير من الأمم الغربية التى تسير على نظام وحدة الزوجة كفرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، وأمريكا ، والسويد .

ومن هنا كانت إباحة الإسلام لنظام تعدد الزوجات لمصلحة المجتمع ومصلحة المرأة فجعله حقاً للرجل بشرط أن يعدل بين زوجاته .

قال تعالى : **﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ، وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾** (النساء ٣) تفيد الآية والآيات التى قبلها أن الإنسان مدعو إلى التقوى ومراقبة الله فى صلة الرحم واتيان اليتامى أموالهم ، وعدم تبديل الطيب منها بخبيث ، وعدم ضمها إلى مال غير اليتامى الخاص وهم الأولياء ، وتذكرهم الآيات بأن الناس جميعاً من نفس واحدة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وأن الله على الناس رقيب ، يحاسب على كل تصرف مهما خفى أو طال أمده ، ثم شفع سبحانه ذلك بقوله **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا .. ﴾** فرتب النكاح على الخوف من عدم العدل فى أمر اليتامى ، سئلت عائشة عن ذلك فقالت : « اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها » يريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداقها فنهى أن ينكحوهن ، إلا أن تقسطوا لهن فيكملوا الصداق ، وأمروا بنكاح من

سواهن من النساء »[1] ، هكذا يجب أن يكون العدل هو أساس العلائق الإنسانية ، ولا يحل لمسلم أن يستمرىء الظلم أو يرضى الجور ، قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : « إنى حرمت على نفسى الظلم وعلى عبادى فلا تظالموا »[2] . وقال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة »[3] .

التيقن من تحقيق العدل إذن شرط ضرورى للإقبال على الزواج ، أما الخوف من عدم تحقيقه فسبب مرخص للعدول عن الزواج ممن يخاف عدم تحقيقه معها إلى غيرها ممن يطمئن إلى العدل معهن ، أو العدول مطلقاً إن لم يأمن الجور ، فالآية رخصت فى الزواج باليتامى بشرط العدل ، ورخصت فى التعدد بأن يضم الرجل إلى عصمته أكثر من زوجة واحدة معقود عليها على ألا يتجاوز العدد أربع زوجات ، بشرط أن يعدل بينهن ، وأن يطمئن إلى ذلك قبل الإقدام على التعدد ، فإن خشى ألا يتمكن من ذلك اقتصر على واحدة قال ﷺ : « من كانت له إمرأتان فمال إلى إحداهما فى القسم جاء يوم القيامة وشقه مائل »[4] ، وإذا كان المجتمع المسلم مكلفاً ندباً أو وجوباً على قولين بإنكاح من تحت ولايته لظاهر قوله تعالى : ﴿ **وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم** ﴾ ، فالأمر للوجوب على أحد القولين وللندب على القول الثانى كما هو

---

(١) صحيح البخارى جـ ٧ كتاب النكاح .

(٢) مسلم جـ ٤ ص ١٩٩٥ .

(٣) مسلم جـ ٤ ص ١٩٩٥ .

(٤) سنن أبى داوود جـ ٣ ص ٢٤٢ .

مكلف بتحصين فروج النساء ، خطب عمر الناس فقال : « إن الله عز وجل رخص لنبيه ما شاء ، وإن النبى ﷺ قد مضى لسبيله ، فأتموا الحج والعمرة كما أمركم الله عز وجل ، وحصنوا فروج هذه النساء »[(١)] ، لأن أكثر ما يلج الناس به النار الأجوفان « الفم ، والفرج » كما قال ﷺ[(٢)] ، فالمسئولية تقع على عاتق المسلمين جميعاً رجلاً أو امرأة ، حاكماً أو محكوماً ، لأن ذلك أدخل فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الوارد فى الحديث « من رأى منكم منكراً فليغيره .. الحديث »[(٣)] كما هو أدخل فى باب اتقاء الفتنة التى لا تصيب الذين ظلموا خاصة ، الوارد فى قوله تعالى ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ ، وإذا صح للمسلمين أمر دينهم وجدت كل امرأة نفسها مسئولة أمام ربها ودينها عن الأخطار التى تتهدد المجتمع إذا تمسك رجاله بوحدة الزوجة ، وإذا أصبح الأمر إليها وهى مؤمنة حقاً لم تؤثر نفسها على أحد ، ولقالت لزوجها هل لك فى فلانة ؟ فإذا سألها فافعل ماذا ؟ قالت فتنكحها ، وهذا ما أحست بمثله أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ : « لما قالت له ﷺ هل لك فى أختى ؟ قال : فأفعل ماذا . قالت فتنكحها . قال : أختك ؟ قالت : نعم . قال : أو تحبين ذلك ؟ قالت : لست بمخلية بك » .. الحديث[(٤)] .

---

(١) المسند جـ ١ ص ٢٠٠ .
(٢) المسند جـ ٥ ص ٣٢ .
(٣) مسلم جـ ١ ص التحرى .
(٤) سنن داوود جـ ٣ ص ٢٢١ .

وهو ما يجب أن تجده المسلمة من نفسها اليوم نحو أختها فى الدين إخلاصاً منها لدينها ، ومجتمعها ، وربها . وذلك هو الإيمان الحق ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ، وهو ما فهمه ابن عباس لما قال لابن جبير : « هل تزوجت ؟ قال لا ، قال فتزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء »[١] ، وهذا هو الداعى الذى حمل الإسلام على إقرار التعدد وجعله حقاً للرجل بشرط العدل بين الزوجات .

وهو ما عناه ﷺ ـــ بعد قسمه بين نسائه بالعدل ـــ بقوله اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك .. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك »[٢] ، وعنها أيضاً قالت فيما يرويه هشام بن عروة عن أبيه قالت عائشة ، ياابن أختى كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التى هو فى يومها فيبيت عندها »[٣] ، وقد أدرك نساء النبى محبته لعائشة فظنن أن فى قدرته أن يسوى بينهن فى محبة القلب فطالبنه بذلك ، عن عائشة قالت : أرسل أزواج النبى ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله فاستأذنت عليه وهو مضطجع معى فى مرطى فأذن

(١) البخارى ج ٧ والمسند ج ٤ .
(٢) سنن أبى داوود ج ٣ ص ٢٤٢ .
(٣) سنن أبى داوود ج ٢ ص ٢٤٣ .

لها ، فقالت يارسول الله إن أزواجك أرسلنى إليك يسالنك العدل فى ابنة أبى قحافة وأنا ساكتة قالت فقال لها رسول الله ﷺ أى بنية . ألست تحبين ما أحب ، فقالت بلى . قال فأحبى هذه الحديث »[1] .

فأبان ﷺ بذلك أن المطلوب هو مجاراة رسول الله ﷺ فى حبه لعائشة ، فإذا أحببتها لم يجدن فى أنفسهن اعتراضاً عليه ، فكشف لهن بذلك عن عدم قدرته على التسوية فى المحبة القلبية .

أما ما يقال من أن نظام التعدد الإسلامى يؤدى حتماً إلى الإضرار بالزوجات وإلى إهدار كرامتهن والإجحاف بحقوقهن ، وإلى الشقاق وتشرد الأولاد وإلى كثرة النسل التى هى مصدر شر للأسرة والمجتمع ، فأقوال تصدر عن فهم خاطىء أو توجيه سيىء أو إغفال لقواعد الاجتماع والحضارة التى حرص عليها الإسلام ، أو عن هدف مغرض دنىء ، فالإسلام يهتم بصياغة الإنسان على نحو يقدر مصالح الأمة ويعنى بخدمتها كقانون أعلى للفكر والسلوك ، والمؤمن الحق والمؤمنات الصادقات ، يعايشون نظام التعدد كحق للرجل ومصلحة للأمة ونسائها ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم تردد ، أما إذا لم تظهر هذه المصلحة ، فإن الأمر إلى المرأة الجديدة ، ولا أحد يستطيع أن يجبر امرأة على قبول الزواج برجل متزوج ، فالإسلام يدع الأمر لرضاها ، فإذا قبلت الزواج به عن طيب خاطر كان ذلك دليلاً على أن هذا الوضع لا ينطوى فى نظرها على ضرر ولا إهدار للكرامة ولا إجحاف بحق .

(١) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٣٦ طبعة دار التحرير .

والإسلام يوجب على الرجل أن يقوم بالإنفاق على أهله من زوجات وأولاد ومن يعولهم ، وأن يعامل زوجاته بالعدل فى كل ما يمكنه العدل فيه فإذا أصاب إحداهن الضرر حق لها أن ترفع أمرها إلى القضاء ووجب على القاضى أن ينصفها ، أما دعوى أن التعدد يؤدى إلى الشقاق وتشرد الأولاد ، فالدين قام على كذبها لأن توخى العدالة ومراقبة الله فى السلوك وحسن تصرف الرجل يقى أمر الأسرة ، ويحول دون الشقاق ، فالعيب ليس فى التعدد ذاته ، وإنما العيب فى بعض المعددين والنظام الذى يعايشونه ، فلو التزم الجميع تعاليم الدين كان فيه خيراً كثيراً للأولاد والأسرة والمجتمع ، إن ولداً يتربى فى مجتمع يضم أكثر من أم لإخوة ، لهو خير ألف مرة من ولد تنشغل عنه أمه لأكثر من سبب ، وإذا كان من دعائم سعادة الأسرة المودة والرحمة ، فليس معنى ذلك قصر هذه الدعائم على الرجل من المرأة وعلى المرأة من الرجل ، بل لابد أن تسود هذه المعانى جوانب البيت ، بل وتمتد إلى المجتمع بأسره ، وإلا أصبحت نفاقاً وتظاهراً ، وإذا ساءت إدارة البيت ، واضطربت شئونه فلا يصح أن تلقى التبعة على التعدد ، لأن المرأة إذا كانت لا تدرك حقوق الزوجية فهى السيئة على أى حال ، سواء كانت وحدها أو مع أخرى ، ولأن الرجل إذا تجرد من تبعات قوامته ، كان هو السيىء وحّد أو عدد .

أما دعوى أن كثرة النسل مصدر شر للأسرة والمجتمع ، فإن الدليل قائم على عكسها ، ولولا سوء أدوات الدعوة والتوجيه التى تخدم الصهيونية العالمية ، من خلال الجهل والسذاجة فى المجتمعات الإسلامية ، لبدا الأمر بديهياً ، لكن الزيف الذى لحق بحقائق الحياة

الدنيا على يدهم تقل البديهيات إلى محيط الظلام الجدلى السفسطائى ، ليخرجوها هم بطريقتهم على عكس ما كانت ــ تماماً ــ مثلما كانت تقابل المومس وبائعات الهوى منذ زمن بالازدراء والاحتقار ، فأصبحن الآن مثل الفتيات الأعلى ونجوم الصحافة والإذاعة والتليفزيون . باسم الفن ، ومثلما أصبح الرغيف الأبيض مفضلاً الآن على الرغيف الأسود مع فائدة الأخير .. بفعل الدعاية أصبحت مقاييس التقدير للأفكار والثقافات والعلوم تخضع لهذا الزيف ، وهكذا يعيش المسلم المعاصر حياة زائفة فى المفاهيم والأفكار والقيم والنظريات والحقائق ، بفعل الصهيونية العالمية وأعداء الإنسان المسلم ، وهو لا يشعر .

ويكفى أن نعيد الحساب فى معارفنا ونطبقها على الواقع ليثبت: لنا كل هذا لقد قالوا قبل ربع قرن إن الصين ستحل بها مجاعة وأوبئة بعد عشرين عاماً بسبب زيادة السكان ، فإذا بها منافس خطير لأكبر دولتين فى العالم ولو حددت نسلها لكانت الآن من أحط الأمم .

والحقيقة أن كثرة النسل ليست شراً فى ذاتها ، بل الأصل فيها أنها مصدر خير كبير للأسرة والمجتمع ، وهى لا تكون شراً إلا حيث يعجز الرجل عن القيام بنفقات الأسرة ، عندما يعجز المجتمع عن التنمية الصحيحة ، والتوزيع الأمثل لموارده المادية والثقافية . والإسلام يحرم التعدد إذا خيف عدم القدرة على القيام بهذه الأعباء من جانب الرجل - بل ينهى عن الزواج أصلاً ، وهو مما تنبه إليه عقلاء الأمم وفضلاؤها .

يقول رشيد رضا فى كتابه (نداء الجنس اللطيف) الطبعة الثانية ص ٤٩ « ولما تنبه أهل أوربا إلى إصلاح شئونهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اعتنوا بتربية النساء وتعليمهن ، فكان لذلك أثر عظيم فى ترقيتهم وتقدمهم ، ولكن المرأة لا تبلغ كما لها إلا بالتربية الإسلامية ، وأعنى بالإسلامية ما جاء به الإسلام لا ما عليه المسلمون اليوم ، ولا قبل اليوم بقرون .. ويقول جاء فى جريدة الأغوص ويكلى روكور ، بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته (لقد كثرت الشاردات من بناتنا ، وعم البلاء ، وقال الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت امرأة أرانى أنظر إلى هاتيك البنات ، وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزناً ، وماذا عسى يفيدهن بثى وحزنى وتوجعى وتفجعى ، وإن شاركنى فيه الناس جميعاً ؟ لا فائدة إلا فى العمل بما يمنع هذه الحالة الرجس ، و لله در العالم الفاضل (تومس) فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل للشفاء وهو أن يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة) ، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة ، ويصبح بناتنا ربات بيوت ، فالبلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوربى على الاكتفاء بامرأة واحدة ، فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال ، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة .

أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعلة وعاراً على المجتمع الإنسانى ؟ فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون ، ولسلم حق رعايتها ، ولهذا وجدت مع التربية

الاوربية للنساء جرائيم الفساد » ونمت هذه الجراثيم فتولدت منها ، الأدواء الاجتماعية والأمراض المدنية ، وقد ظهر أثرها فى التفريط فى عرضهن وعرض أولادهن ، فإن مزاحمة المرأة للرجال ستحل بنا الدمار ، ألم تروا أن حال خلقتها تنادى بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها » وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين .

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس اترود) مقالة مفيدة فى جريدة (الاسترن ميل) فى العدد الصادر منها فى عشرة مايو (أيار) سنة ١٩٠١ نقتطف منها ما يأتى : لأن يشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءاً من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت ، ولا تمس الأعراض بسوء .

ويقول جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب الذى نقله إلى العربية عادل زعيتر فى طبعة ثانية سنة ١٩٤٨ . (ولا نذكر نظاماً أنحى الأوربيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات » كما أننا لا نذكر نظاماً ما أخطأ الأوربيون فى إدراكه كذلك المبدأ ، فيرى أكثر مؤرخى أوربا اتزاناً أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية فى الإسلام وإنه سبب انتشار القرآن ، وأنه علة انحطاط الشرقيين ، ونشأ عن هذه المزاعم الغريبة على العموم أصوات سخط رحمة بأولئك البائسات المكدسات فى دوائر الحريم ، يراقبهن خصيان غلاظ ،

ويقتلن حينما يكرههن سادتهن ، ذلك الوصف مخالف للحق ، وأرجو أن يثبت عند القارىء الذى يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوربية جانباً ، أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقى نظام أطيب ، يرفع المستوى الأخلاق فى الأمم التى تقول به ، ويزيد الأسرة ارتباطاً ، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما فى أوربا ، وأقول قبل إثبات ذلك أن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصاً بالإسلام فقد عرفه اليهود والفرس والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد ، ولا نعتقد مع ذلك وجود ديانة قوية تستطيع أن تحول الطبائع » وتبتدع أو تمنع ذلك المبدأ .. إلى أن يقول .. ولا أرى سبباً لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السرى عند الأوربيين ، مع أننى أبصر بالعكس ما يجعله أسنى منه .

ويقول الأستاذ عبد الحميد الدالى فى مقال نشرته له مجلة العشيرة المحمدية (من الحقائق المعروفة فى علم الاحصاءات الحيوية) أن المجموعات الكبيرة من السكان يتحقق فيها فى الظروف العادية توازن بين الذكور والإناث من الناحية العددية وهناك حقيقتان أخريان توجدان فى جميع البلاد والأزمنة تتصل بهما هذه الظاهرة ، الأولى : زيادة عدد الذكور فى المواليد على الإناث فى جميع مراحل العمر ، ومن شأن هاتين الظاهرتين المتعارضتين أن تحققا معاً ذلك التوازن المنشود بين اعداد الذكور والإناث فى مجموع السكان ، لاسيما فى الفترة المخصبة من العمر ، وهى الفترة المحصورة بين الخامسة عشرة والخمسين .

ويحدث أحياناً أن تتدخل عوامل غير طبيعية للإخلال بهذا

التوازن ومن مثل ذلك الهجرة المستمرة من إحدى البلاد على نطاق واسع ، فهى غالباً ما تستنزف الذكور وخصوصاً الذين فى سن الشباب ، وأهم من ذلك أن تشترك البلد فى حروب متواصلة فتخسر بذلك أعداداً كبيرة من الذكور لاسيما الذين فى سن الشباب أيضاً ، وهذا هو ما حدث لبلاد أوربا الغربية مثل ألمانيا وفرنسا وانجلترا .

وتتضح هذه الحقيقة من المقارنة التالية ، إذ نجد فى مقابل كل مائة من الذكور ، مائة وواحدة من الإناث فى السويد ، ومائة واثنتين فى مصر ، ومائة وسبعا فى فرنسا ومائة وتسعا فى انجلترا وويلز ، ومائة وثلاث عشرة فى ألمانيا الغربية ، وهذه الأرقام مأخوذة من التعددات الأخيرة وهى تشمل مجموع السكان ، فإذا أردنا أن تكون المقارنة فى البالغين من السكان وذلك أفضل عند النظر فى أمور تتعلق بالزواج فإننا نجد فى مقابل كل مائة من الذكور البالغين مائة واثنتين من الإناث البالغات فى السويد مائة وأربعا فى مصر ومائة وعشرة فى فرنسا ومائة واثنتى عشرة فى انجلترا وويلز ، ومائة وتسع فى ألمانيا الغربية ، فلابد أن يبقى إلى جانب كل مائة زيجة تسع عشرة امرأة عانسا تنتظر الزواج بغير جدوى .

وبذلك أصبح بقاء أعداد كبيرة من الإناث بدون زواج أمراً لا مفر منه فى بلاد أوربا الغربية وغيرها ، وقد أثارت هذه الظاهرة مخاوف الكثيرين من علماء الأخلاق والاجتماع ، ورأوها سبباً فى أسباب انتشار الفساد والانحلال الخلقى ، وكان من آثار ذلك ارتفاع نسب المواليد غير الشرعية فى تلك البلاد ارتفاعاً كبيراً .

فهل بقى بعد هذا العرض المفصل لمهام تعدد الزوجات شك فى ضرورته ؟ لقد جاء الإسلام فوجده قائماً على نطاق واسع ، فوضع عليه القيود التى توجهه إلى تحقيق مهامه الاجتماعية فشرط ألا يتعدى العدد أربعة ، فقال تعالى ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** ﴾ وقال على بن الحسين يعنى مثنى أو ثلاث أو رباع[1] ، كما شرط ضمان العدل بين الزوجات .

ويقول العقاد فى كتابه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) فى طبعته الثالثة فى الصحيفة مائة وست وستين : (وينبغى أن ننبه إلى وهم غالب بين الجهلاء ، والمتعجلين من المثقفين عن سنن الأديان فى تعدد الأزواج قبل الإسلام ، إذ الغالب على أوهامهم أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى أباح تعدد الزوجات أو أنه أول دين أباحه بعد الموسوية والمسيحية ، وليس هذا بصحيح كما يبدو من مراجعة يسيرة لأحكام الزواج فى الشرائع القديمة وفى شرائع أهل الكتاب ، فلا حجر على تعدد الزوجات فى شريعة قديمة سبقت قبل التوراة والإنجيل ، ولا حجر على تعدد الزوجات فى التوارة أو فى الإنجيل ، بل هو مباح مأثور عن الأنبياء أنفسهم من عهد إبراهيم الخليل إلى عهد الميلاد ، ولم يرد فى الأناجيل نص واحد يحرم ما أباحه العهد القديم للآباء والأنبياء ولمن دونهم من الخاصة والعامة وما ورد فى الأناجيل يشير إلى الإباحة فى جميع الحالات ، والاستثناء فى حالة واحدة وهى حالة الأسقف حين لا يطيق الرهبانية فيقنع بزوجة

(١) صحيح البخارى .

واحدة اكتفاء بأهون الشرور وقد استحسن القديس أو غسطين أن يتخذ الرجل سرية مع زوجته إذا عقمت هذه وثبت عليها العقم » وحرم مثل ذلك على الزوجة إذا ثبت لها عقم زوجها لأن الأسرة لا يكون لها سيدان ، واعترفت الكنيسة بأبناء شرعيين للعاهل شرلمان من عدة زوجات » وقال وستر مارك العالم الثقة فى تاريخ الزواج ، أن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى إلى القرن السابع عشر ، وكان يتكرر كثيراً فى الحالات التى لا تحصيها الكنيسة والدولة .. فالإسلام لم يأت ببدعة فيما أباح للرجل من تعدد الزوجات وإنما الجديد الذى أتى به أنه أصلح ما أفسدته الفوضى من هذه الإباحة المطلقة من كل قيد ، وأنه حسب حساب الضرورات التى لا يغفل عنها الشارع الحكيم ، فلم يحرم أمراً قد تدعو إليه الضرورة الجاذبة ، ويجوز أن تكون إباحته خيراً من تحريمه فى بعض ظروف الأسرة أو بعض الظروف الاجتماعية العامة .

السفر مع المحارم :

وما دامت المرأة تحمل فى جسدها عناصر الجذب والإغراء والطمع ، فإنها لا يحل لها أن تسافر من غير أن يصحبها محرم ، فهى مع ما تحمل من عناصر الجذب والإغراء ، لا تستطيع مقاومة أى رجل يهاجمها بدافع مما يحمل فى جسده من عناصر الانجذاب والقوة .

فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ثلاثة ليال ، إلا معها ذو محرم .. وعن أبى هريرة مثله »[1] .

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ٩٨٥ .

وليس معنى هذا أنه يحل لها أن تسافر ما هو دون الثلاث بدون قيد بل لابد من مراعاة أن يكون السفر على نحو لا يختلط فيه الرجال بالنساء وتؤمن فيه الفتنة ، واحتمالات انتهاك الحرمات ، فإذاكان كذلك فلا ينبغي أن تسافر وحدها ولو مسيرة ساعة .

النهى عن الاستعطار ونعت المرأة المرأة :

وحسبها هذا التهديد من رسول الله ﷺ : « إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى كذا كذا قال قولاً شديداً » ولفظ النسائي « فهى زانية »[1] ، وليس ذلك اعتداء على حقها في الحرية فالحرية للعقل لا للحيوان ، للفضيلة لا للرذيلة ، ولاشك أن ريح المرأة يثير لدى الشباب الرغبة الحيوانية في ممارسة الجنس ، ويحيى فيهم مانام من الشهوة ، وإذا كانت هناك فرصة لمن تزوج أن يأتى أهله كما أمره النبى ﷺ فيما جاء عن جابر أن النبى ﷺ « رأى امرأة فدخل على زينب بنت جحش فقضى حاجته منها ثم خرج إلى أصحابه فقال لهم : إن المرأة تقبل في صورة شيطان فمن وجد من ذلك (شيئا) فليأت أهله فإنه يضمر ما في نفسه »[2] ، « فأى ملجأ لمن لم يتزوج ؟ إن إنكار الطبيعة الجنسية في هذا المجال من أول الدلائل على الجهل ولقد كانت قصة يوسف النبى وامرأة العزيز من أبرز ما صور القرآن به طبائع البشر ، ولهذا ينتهز رسول الله ﷺ كل فرصة

---

(١) مختصر سنن أبى داود جـ ٦ ص ٦٠ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠٢١ وأبو داود جـ ٣ ص ٢٤٦ والترمذى والنسائى بنحوه .

ليشير إلى هذه الطبيعة وضرورة الاحتياط والوقاية من أخطارها ، حتى ينهى المرأة أن تباشر المرأة وتصفها لزوجها ، يقول ﷺ : « لا تباشر المرأة المرأة لتنعتها لزوجها كأنما ينظر إليها »(١) .

اعتزال النساء :

ثم ينهاهن عن الاختلاط بالرجال فيقول ﷺ وهو خارج من المسجد حين يجد اختلاط النساء بالرجال فى الطريق ، يقول لهن : استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق » عليكن بحافات الطريق ، وكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به »(٢) .

ما دامت طبيعة الجنس على هذا النحو فإنه لا يكسر شراهتها غير الزواج ، إلى جانب ما يجب أن يتمتع به الإنسان من قوة وإيمان ، وزاد التقوى ، ليستطيع قهر غرائزه ويواجه طغيانها أثناء احتمالات اللقاء الضرورية .

ولهذا كان نظام الإسلام يقدر هذه الحقائق ويدعو الإنسان إلى الاعتصام بالله والتمسك بدينه واعدا إياه بالجزاء العظيم فى الآخرة ، فيمنح فرصة الاحتياط الكامل والوقاية بكل الوسائل ضماناً لعدم اضطرار الناس إلى ارتكاب الآثام أو شيوع مقدمات الجنس فإذا تطهرت البيئة على هذا النحو كان اللمم مغفوراً للناس لعدم إمكان

(١) مختصر أبى داود جـ ٣ ث ٣٤٦ أخرجه البخارى والترمذى والنسائى .
(٢) مختصر سنن أبى داود جـ ٨ ص ١١٧ .

التحرز منه ، قال تعالى يصف المؤمنين ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ (النجم ٣٢) . وقال ابن عباس ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى ﷺ إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق ، والنفس تتمنى ، وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه »[1] .

النهى عن إشاعة الفاحشة :

أما ما زاد عن ذلك فيعد مساهمة فى شيوع مقدمات الجنس والسماح بممارسته وهذا ما ينهى عنه الإسلام ويعد العاملين على ذلك بسوء العذاب يقول سبحانه ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة** ﴾ (النور ١٩) ، وحب إشاعة الفاحشة قد تظهره الكلمة حتى يقول ﷺ « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفع بها درجات » وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالايهوى بها فى نار جهنم »[2] ويقول ﷺ : « من يضمن لى ما بين لحييه وما رجليه أضمن له الجنة »[3] أى اللسان والفرج اللذان يلج بهما الناس النار كما جاء فى الحديث أيضا[4] .

---

(١) سنن أبى داود جـ ٢ ص ٢٤٦ أخرجه البخارى ومسلم والنسائى .
(٢ ، ٣) الشرقاوى جـ ٣ ص ٣٢٣
(٤) فقد سئل ﷺ عن أكثر ما يلج به النار فقال : « الأجوفان الفم والفرج » الحديث (المسند جـ ١٥ ص ٣٢ واسناده صحيح .

وإذا كان هذا أمر من يحب أو يعمل على إشاعة الفاحشة باللسان ، فما بالك بمن يعمل على ذلك بالتعرى أو نشر الصورة العارية وإعلان الفساد بكافة ألوانه باسم الفن وغيره ، إن هؤلاء هم الذين يعادون أنفسهم وأمتهم وربهم فيحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً .

وعلى النظام العام أن يضرب على أيديهم بيد من حديد ، لأن فى عملهم هذا ايذانا بفشو الرذائل والجنس ، عن طريق افشاء مقدماتها « كالتعرى وضياع الحياء وتخنث الرجال ، وترجل النساء ، ولهذا قال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحا »[1] .

لما يترتب على أعمالهن من ضياع كل القيم المطلوبة لتلبية حاجات الأسرة الثقافية وقيام قواعدها وحفظ كيان المجتمع .

هكذا يلبى الإسلام بنظامه العام حاجات الأسرة الثقافية على أفضل وجه يمكنها من المحافظة على صلاتها وقواعد ترابطها وأسس سعادتها لتصل إلى المثل الأعلى فى كل ذلك .

* * *

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٦٨٠ .

خاتمة

وهكذا يضع الإسلام المرأة في مكانة مرموقة ترضي ذاتها ، وتحقق إنسانيتها ، وتستثمر طاقاتها ، بطريقة علمية محسوبة ، فهي ـ أي المرأة ـ في المجتمع المسلم إنسان له ذاتيته التي تطالب بكرامة إنسانية تظهر في تكريم خلقتها واحترام تكوينها ، وتقدير طبعها من الرجل ومن المجتمع والدولة .

هذا الشكل التكريمي لذات المرأة حين تجده كل أنثى ، تجد فيه ذاتها المعززة المقدرة المحترمة . وهذا مطلب كل الذوات البشرية من الحياة العامة .

تتحقق به إنسانيتها وتتكامل حتى تبذل ما في وسعها وتقدم كل طاقاتها البناءة في صناعة الجيل الذي تفخر به كل أم وكل أب ، وتتعالى به الأمة وتتقدم .

ولو تأمل العقلاء لوجدوا أن تحديد الهدف من حياة البشر على هذه الأرض هو الأمر الذي ترتبط به حركتهم ونشاطهم وأشكال سلوكهم .

فإذا أصبح هدف الإنسان المسلم رجلاً أو امرأة هو جمع أكبر رصيد في حساب الجنة ورضا الخالق ، ولا يتحقق فتح الحساب

واعتماد مُدّخراته إلا بتقديم إقرار يعلن إيمان المرء بحق الله في تنظيم هذه الحياة لصالح الناس أفراداً ومجتمعات .

عندها تكون أرصدة المؤمنين في تزايد مستمر كلما بقي عملهم وانتظامهم في إطار نظامه خالصاً لوجهه ، محسوباً لإرضائه وطاعته .

إن مشكلة الناس في هذا العصر بعد تزويرهم للمفاهيم العامة خاصة مفهوم الخير والشر والمصلحة والمضرة ، ففهمهم للدين على أنه مجرد صلاة وصيام وصدقة . هو الذي أخسرهم السعادة المنشودة ولو علموا أن احترام إنسانية الإنسان جزء من رصيد العمل للجنة ، بل جزء أساسي من هذا الرصيد ، لباتوا ينشدون رضا ربهم بالمودة والتكافل والاحترام والتقدير فيما بينهم وعندما تخلص النفوس البشرية من أغلال فكرة الجنس والنوع وتنتقل إلى فكرة استثمار الطاقات وتنميتها فإنها تحترم كل بذل من المرأة وتقدره بقدر ما تحتاج إليه وتستهدفه وهل هناك أعظم من صناعة الأولاد ، وتأسيس بنائهم .

إن كانت الدنيا تحتوي على ثروة أعظم وأغلى من هذه الثروة فلن تكون إلا خادمة ومعينة على هذه الصناعة فالتشريع الالهي غايته تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة ومصالح العباد في

الحياتين لا تتحقق إلا بتربية الإنسان وتأسيسه على النحو الذي تتمناه كل الأمم العاقلة .

إن الدين بهذه الحسبة ، عملية اقتصادية تقوم على مدخرات الأفراد والجماعات من عائد طاقاتهم وإمكاناتهم الممنوحة لهم من الخالق بهدف العبودية له والإعلان عن عظمته وجلاله يكشف نعمه في الخلق ناساً كانوا أو حيوانات أو جماد .

ونعم الخالق التي لا تعد ولا تحصى يتجلى أثرها في الإنسان بإشغال الطاقات وإعمال الإمكانات البشرية بحساب ، لا يبددها ولا يهددها ، ولا يغمرها ولا يضر بها نفسه .

والمرأة ذلك الكائن العظيم لها طاقاتها ولها إمكاناتها ولها حسابها الذي يمكنها من الادخار فيه ورفع رصيدها أمام الله ، ولصالح المجتمع الذي تعايشه ، أو تعيش فيه وحساب رصيد المرأة في المجتمع المسلم أعلى وأكبر من حساب أي امرأة في المجتمعات الأخرى .

لأنها تهدر طاقاتها وطاقات الرجال من حولها بالنظر إلى نفسها كجسد وبنظر غيرها إليها نظرة حيوان ممتع ذاكم هو الفرق الذي يميز مكانة المرأة في المجتمع المسلم عنها في أي مجتمع ، وهو فرق

يحدد المكاسب والخسارات فالمجتمع المسلم يمكنه أن يزيد من رصيد ثروته وتقدمه حين ينظر إلى المرأة باعتبارها إنساناً معطاءً له مكانه ومكانته .

ويمكنه أن يزيد من خسارته كلما تعامل معها باعتبارها حيوانا ممتعاً ، أو جسداً مغرياً .

وحساب مفاهيم الحرية والمساواة يجب أن يكون من منطلق حرية عقلها وطاقاتها المنتجة المعطاءة لا من منطلق حرية شهواتها وجسدها وغرائزها ومن منطلق مساواة كيانها وذاتها وإنسانيتها لكيان وذات وإنسانية الرجل .

لا من منطلق ضرورة تواجدها معه في كل مكان واحتكاكها به .

وعلينا نحن المسلمين أن نعيد حساباتنا بعدما جربنا وخربنا حتى وصلنا إلى المنادادة بوقف الإنجاب بدلاً من المناداة بوقف التخريب .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

بالله التوفيق والسداد

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
نقطة الانطلاق فى هذه الدراسة	٤
طبيعة الإنسان	٥
مخالفات عجيبة	٦
ماذا تعنى الفروق	٧
طبيعة الرجل	٨
حسم القضية	٩
طبيعة المرأة	١٠
تكامل النظم	١١
تربية وتعليم المرأة	١٣
هدف التربية والتعليم	١٥
جسد المرأة	١٦
عقل المرأة	١٧
مفهوم العمل	١٨

الموضوع	الصفحة
المرأة تتعلم ما يتعلمه الرجل فى المرحلة الأولى	١٩
المرأة تفترق عن المرأة .. والرجل يفترق عن الرجل	٢١
مفهوم المساواة	٢٢
مفهوم الحرية	٢٣
مفهوم العلم	٢٥
حسن الاختيار	٢٦
العمل وتعميق التمايز	٢٩
المرأة موظفة محترمة فى البيت	٣١
الإسلام والنظريات المستوردة	٣٢
طبيعة الوليد الإنسانى	٣٦
حاجة النظام الاجتماعى	٣٩
القلب الذى يعقل	٤٠
العقل والغريزة	٤٧
الأنوثة والمجتمع	٤٨
فقدان الأنوثة	٤٩
تساؤلات وردود	٥٠
جسد المرأة وعقلها	٥٦
أين عقل المرأة	٥٨
الإسلام ينتصر لعقل المرأة	٦٠
تجارب المرأة	٦٢

الموضوع	الصفحة

حماية المرأة وضمان أمنها وتكريم أنسانيتها ٦٣
حقوق الرجل الخاصة به تجاه زوجه ٦٨
حق القوامة ٦٩
التعدد بشرط العدل (لصالح المرأة) ٧٨
السفر مع المحارم ٩٣
النهى عن إشاعة الفاحشة ٩٥
النهى عن الاستعطار ونعت المرأة المرأة ٩٥
اعتزال النساء ٩٦

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٨٧٧ / ١٩٨٩

الترقيم الدولى ٢ ـ ١٢ ـ ١٥٤٠ ـ ٩٧٧

هذا الكتاب

« مكانة المرأة فى المجتمع المسلم »

* ماذا قدم الغرب أو الشرق للمرأة ؟ لم يقدموا إلا كل زيف وضلال وبعد عن طبيعة المرأة حتى تكون مثل الرجل في كل شىء - صورة مبتذلة .

* ماذا بقى للمرأة ؟ لقد بذلت نفسها وكبرياءها وأنوثتها ، وحرمت من حاجاتها إلى أسرة وأولاد تحس بكيانها فيهم ، وتضم حياتهم إلى حياتها فتشعر بالسعادة والاطمئنان .

* إن المرأة فى عرف الإسلام كائن إنسانى له روح إنسانية من نفس النوع الذى منه روح الرجل .

* إن الإسلام يستهدف في تشريعاته تحقيق منهجه الكامل بكل حذافيره لا لحساب الرجال ولا لحساب النساء ولكن لحساب الإنسان ، ولحساب المجتمع المسلم ولحساب الخلق والصلاح والخير فى إطلاقه وعمومه وحساب العدل المطلق المتكامل الجوانب والأسباب .

* إن قضية المرأة هى قضية كل أب وكل ابن ، ومادام في الدنيا آباء وأبناء ففى الدنيا احترام عميق لكرامة النساء ، والذين لايفرقون بين الكرامة والابتذال هم غارقون فى الأوهام والأوحال .

ودار البشير إذ تقدم هذا الكتاب « مكانة المرأة فى المجتمع المسلم » تدعو الله أن ينفع به سائر المسلمين .

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية
دار البشير
طنطا ٣٣ ش الشهيد عادل الرواوي ـ أمام كلية التربية النوعية
ت ٣٣٤٤٠٤ ـ فاكس ٣٣٦٨٠٠